

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

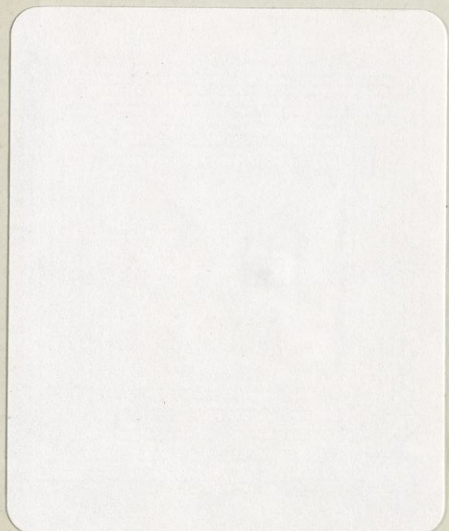


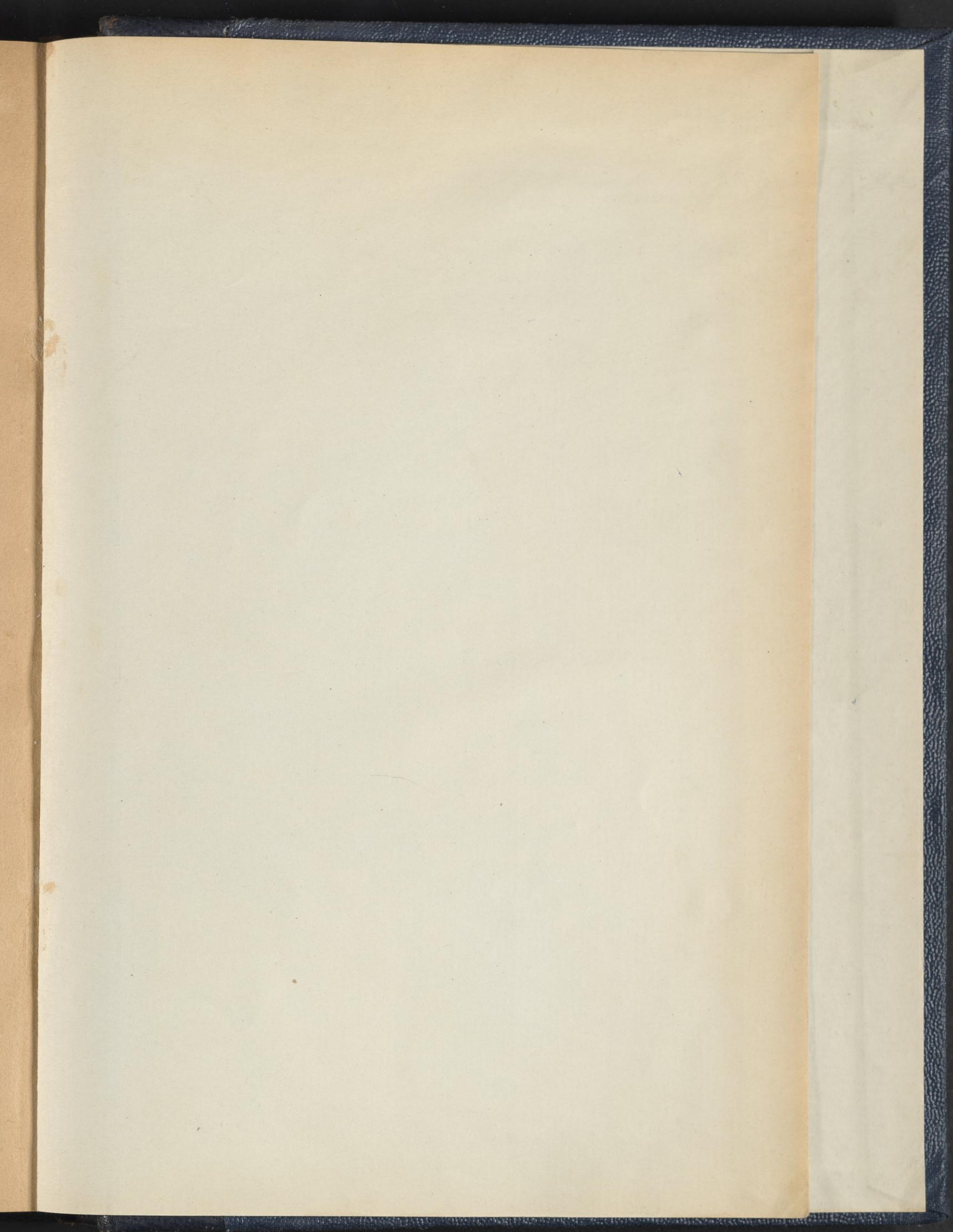
3 8534 01073 0152

01-B5118

pwt 24-9-c1

+





نحو عمرو بن جديدة

* * *

DS

38

B5

1950

تأليف

محمّد البنداري

بوزارة الشؤون الاجتماعية بمصر

والمدرس سابقا بالسودان

* * *

جميع الحقوق محفوظة للؤلف



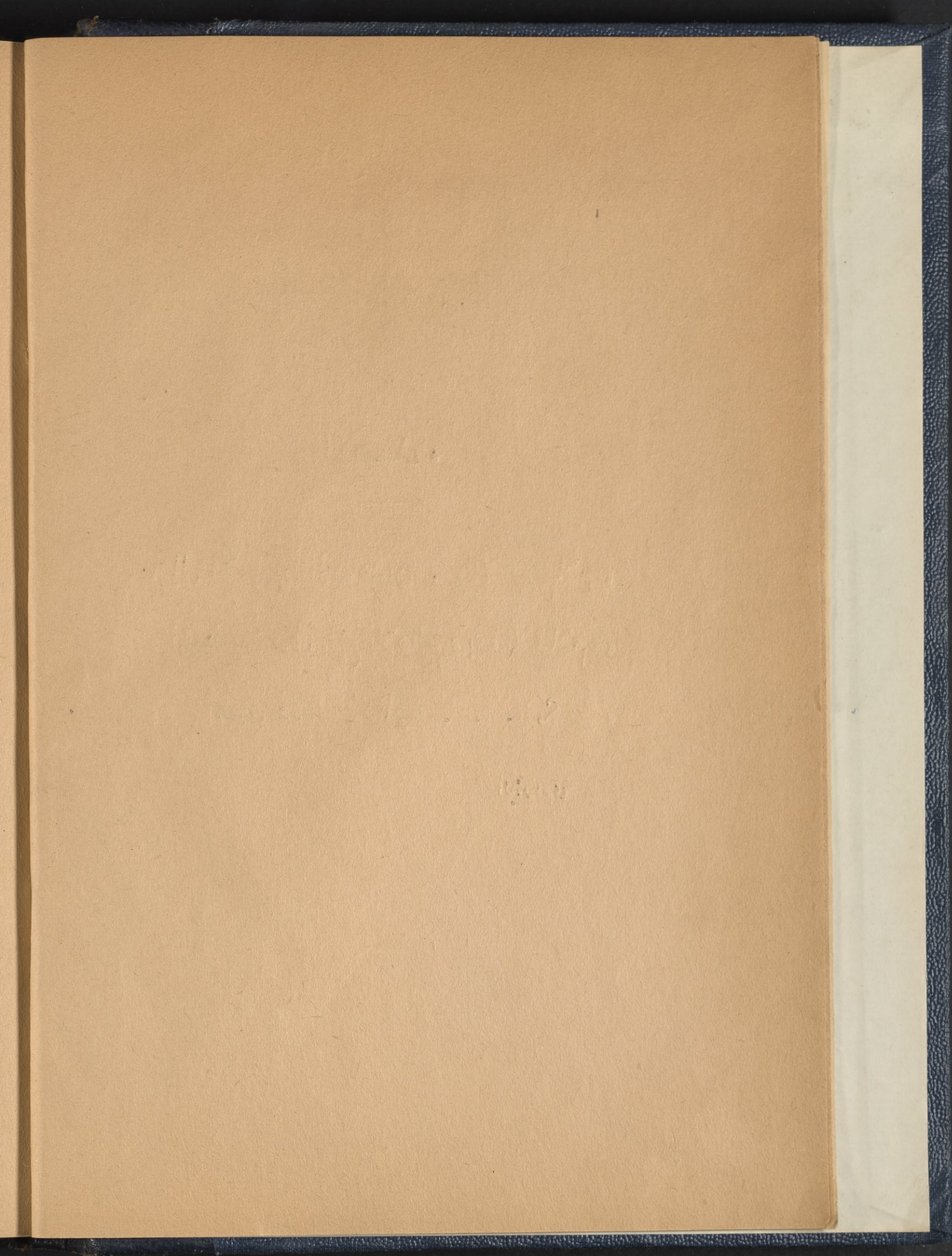
۱۳۰۳
ب.م.ن

50985

الاهداء

« إلى الأحرار المجاهدين . والأعلام ،
« المصلحين . في جميع بلاد العروبة والإسلام . »
« أهدى هذا الكتاب . . . »

البراءة

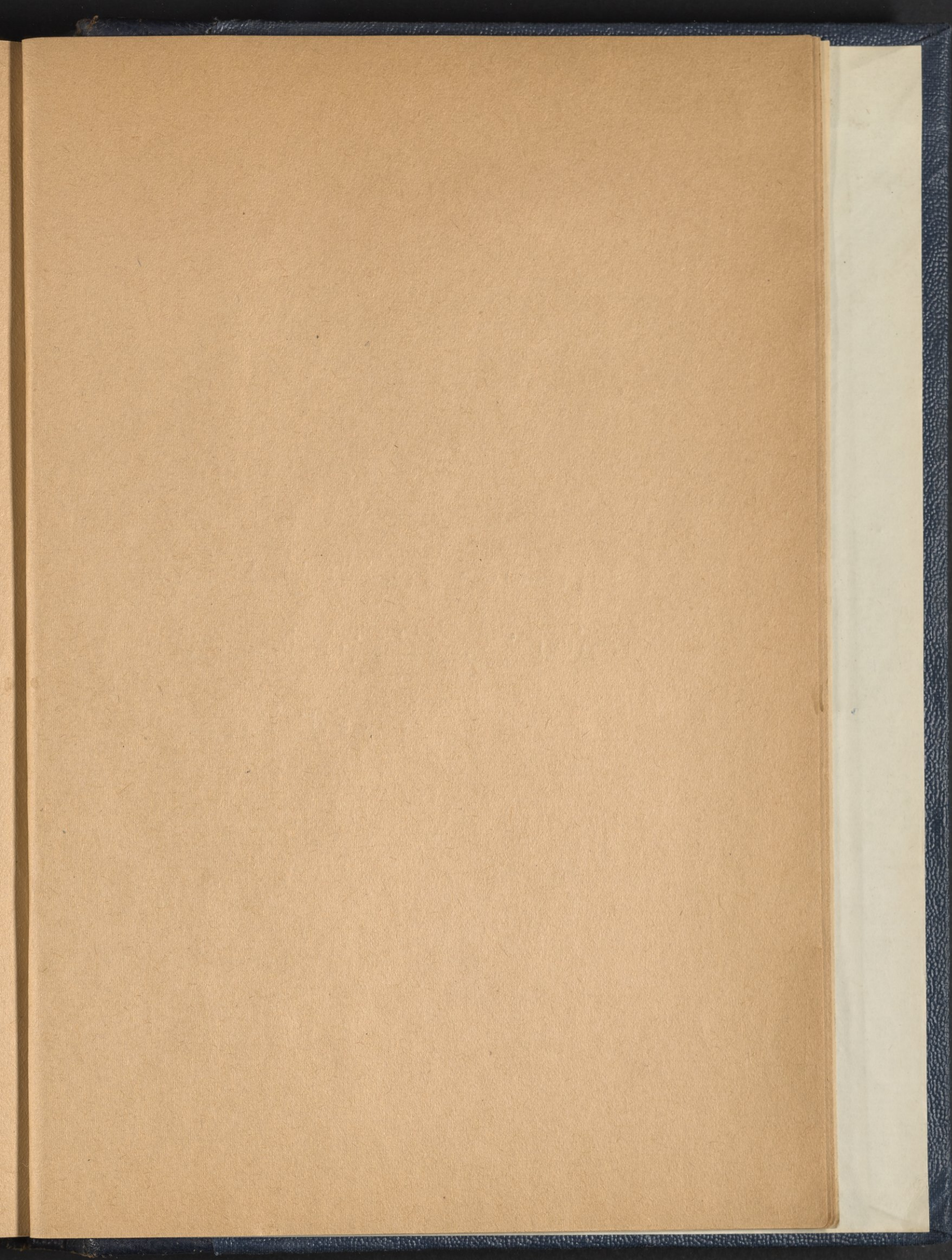


بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« رَبِّ أَفْرِحْ بِي صَدْرِي • وَيَسِّرْ لِي »

« أَمْرِي • وَأَخْلِلْ عُنُقَدَةً مِنْ لِسَانِي »

« يَفْقَهُوا قَوْلِي • »



العروبة الخالدة

تستصرخ بنبيها اليوم

العروبة نفحة ألهية ، وهبتها السماء إلى الأرض لتكون
مظهرا للإنسان في أسس معانيه - وبخاصة - أبان هبط على
مصطفاه الملك ، واستضاء بنورها هذا الفلك ، حيث كانت أشبه
بقصيدة من الغزل السماوي ، ونشيد من أناشيد الجمال ، ولحن من
ألحان الخلود . . . كما كانت في اعتدالها المادي ، ومزجها الدين
بالدنيا ، حينما حصفت الممالك بعدلها ، ودعت العمران بجميل
أعمالها ، موردا عذبا للعلم والمعرفة ، ونبعيا فياضا للحضارة والمدنية ،
حتى تملئت عليها الأمم ، وأخذت عنها الشعوب . . . وسيظل
التاريخ حيا في المواهب السامية التي تجلت في بنبيها إذ ذاك ، والتي
وضع الله بها معنى الخلود في كثير من أعمال الإنسانية العظمى .

ثم لما سكنت نأمتها في المشرق والمغرب هنيئات من عمر البشرية
الطويل ، حسب الناس أن بلبلها قد سكنت ، وجامها قد تحطم ،
ومجلسها قد تقوض ، وسامرها قد انفض ، وشملها قد تفرق ، فاذا
بها صليحة الروح ، نقيبة الجواهر ، صلبة العود ، شجاعة القلب ،
شديدة الطموح ، ملتزمة الشمل ، متماسكة الجوانب مضطردة النهوض .

أما اليوم فقد دار الفلك بها دورة ذات خطر وخطورة ، حيث
الديار غير الديار ، والرسوم غير الرسوم ، والناس غير الناس ،
فلقد تنكب بنوها بها الطريق الآقوم ، وفتحوا ثلمات دخل منها
الاعداء بين صفوفها ، وتداعوا عليها تداعى الجياع حول القصاص ،
فوقفت قلقة مضطربة تتأمل الفدافد التي ارتطمت بتلالها وصخورها ،
وتقيم السكدمات التي رضر ضت عظامها ، وهي ساهمة واجمة لا تهدأ
ولا تنام ، وهل بعد أن أخذت أفاعى الأمم المسعورة بحمى الاستعمار
تطل عليها من جحورها ، وأصبحت غربان الشعوب المنبوذة تستنفس
في آفاقها تنام لها عين ، أو يطمئن لها قلب !

من كان يظن أن اليهود الذين عاشوا خمسة عشر قرنا بين الأمم ،
بخداع الشعب ، وتملق السكب ، وتلون الحرباء ، وهم في عدائهم
المستور ، لمختلف الشعوب - ثعابين من غير سم ، وبراكين من غير
نار - أجل - من كان يظن أنهم يصبحون بين يوم وليلة في ديار
العروبة مستأسدين متتمرين ، ينهبون فلسطين نهبا ، ويطردون أهلها
طاردا ، ثم يتحدون العرب في كل قطر من أقطارهم ، وبلد من بلادهم !

فهل يسوغ لنا بعد هذا أيها العرب - أن نغض العين لحظة ؟ لا . لا .
لا . لا بد من اليقظة الدائمة ، لا بد من اعتصام بحبل الوحدة والجماعة
اعتصاما لا انفصام بعده ، وأصلاح للشأن إصلاحا لا هواده فيه ،
وتسلح بأسلحة العصر من عدة وعدد ، وعلم واختراع ، فلقد علمتنا

الصهيونية أن العلم قوة ثورية هائلة على الأرض ، حينما أخذت عن الغرب روحه وعقله ثم جاءت لتطبقهما على أراضينا ، وأنه لا بد لنا من عروبة جديدة ، عروبة قوى مجتمعة تتدافع وتتوالب ، لا بد من تقارب طبقى يجعل الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، ماحين غمرة الركون الذهني من أذهاننا ، والاعتماد على الغير من قاموسنا ، حتى تتحقق رايات عروبتنا من جديد .

وأن العروبة الحبيبة إلى نفوسنا ، لو أردنا أن نصورها على حقيقتها لما كانت إلا على شكل طائر . له جناحان ، أحدهما هو الشرق العربي ، وثانيهما هو الغرب العربي . أما الصدر فمصر - كنفانة الله في أرضه - وبمقتضى هذا الوضع الطبيعي كان لمصر شرف الصدارة ، ذلك الشرف الذي اقتضاها تكاليف عظيمة ، وواجبات كثيرة على مدى الحقب والعصور... وهي اليوم كما كانت بالأمس ، وفية للعروبة كما هي وفية للعلم والمدنية والحضارة ، ولا عجب في ذلك ، فمصر مهد المدنية ، وأم العرفان ، على رنين أصواتها في « طيبة » و « منف » ، استبقظ التاريخ الإنساني ، وقد اختار الله منها لخليله إبراهيم عليه السلام زوجته « هاجر » كي تنجب له ابنه اسماعيل أبا العرب المستعربة كما اختار منها لنبيه محمد عليه السلام زوجته « مارية القبطية » لتنجب له ابنه إبراهيم... وفي مصر وقف « صلاح الدين الأيوبي » يرد عادة الصليبيين ، ويرفع راية السلام ؛ بين النصرانية والإسلام ، وفيها أيضاً احتفى العلماء العباسيون الفارون من وجه التتار بعد سقوط

بغداد ، وفيها تلقى بنوها إخوانهم الأندلسيين الفارين من الفرنجة بعد
ضياع الأندلس - بالعطف والترحاب ... ذلك لأن مصر هي الأمة
الوسط التي تساوى فيها كفة الدنيا مع كفة الدين ... وستحقق للعروبة
آمالها إن شاء الله ، بفضل تآزر صناديد العروبة الأجداد ، وتقائهم في

اصلاح أقطارهم وبلادهم حفظهم الله جميعا ووفقههم وأعانهم وأمدهم من
فضله وكرمه . وأحسنه وجوده بروح من عنده وفضل من لديه .

نهضة العرب قديما وحديثا
ودعائهم المتينة



وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

وحدة تآزر تضامن

العرب سلالات من الجنس السامي ، نزّلوا أول ما نزّلوا
بمصر موت واليمن ثم حطت رواحلهم بالحجاز ، ثم انتشروا في سائر
الأقطار العربية .. وهم كما أثبت علماء الأجناس أنقى الشعوب معدنا
وأصفها جوهرأ ، ولهذا كانوا أملا للكمال الانساني ، والهدى الا انتهى ،
فاصطفى الله منهم خيرة أنبيائه ورسله ، كما اختار منهم الملوك الذين

ملأوا الدنيا عدلا ، والعلماء الذين نشروا العرفان شرقا وغربا .. وأن
ماضيهم المجيد طویل النفس في القدم ، حيث يرجع إلى المدنية الأولى
الإنسانية ، ثم يتمشى مع الحضارة البشرية مسلسلا على يديه تاريخها
في مصر ، وبابل ، وآشور ، وقرطاجنة .

ولما كان العرب أباة الضيم ، لا يخضعون لمستبد ، ولا يخضعون لظالم ،
اتهمهم غلاة المؤرخين ، ومنعصبو الفرنجة بالنزوع إلى امتشاق الحسام ،
والخروج على الجماعة ، وهي فرية لا أساس لها من الصحة ، فهم
لا يتوانون عن الطاعة ، والاعتصام بحبل الوحدة ، إذا ما رأوا الرئيس
الكف ، العادل ، حتى في جاهليتهم الجهلاء ، فهذا « قصي بن كلاب » في
القرن الخامس قبل الميلاد قد استطاع بحكمته وحسن رأيه أن يرد
سيوف العرب إلى أغمارها ، ويجمعهم على رأى واحد فاستتب الأمن
وصلحت شئون الناس ، وبنيت الكعبة من جديد ، - تلك البنية التي
رفع إبراهيم وإسماعيل قواعدها من قبل ، لتكون مثابة للناس وأمنا ،
والتي هي إلى اليوم أقدس مكان لدى المسلمين ، كما شيد « دار الندوة » ،
لتكون مكانا للشورى ، وجمعا للرأى والتدبير ، - ثم لما جاء الاسلام
جمع بين الأوس والخزرج ، وأخى بين المهاجرين والأنصار ،
وآلف بين المسلمين وغير المسلمين فكان العرب أمة واحدة متراسة
البنيان ، فتحت الممالك ، وخضع لها ملوك الفرس والروم ، في مكة
ويثرب ، ثم في دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة ، حتى صارت تلك
العواصم العربية الأخيرة كعبة يحج إليها رواد العلم من كل أمة ، في تلك

العصور المظلمة ، كما صارت منهلا للحضارة الأوروبية الحديثة .

* * *

ولقد كانت نهضة العرب قائمة على أسس متينة من الخلق الكريم
والمعرفة الصادقة ، فتحوّلت محاسن الدنيا إليهم ، ووقعت فضائل
الآجيال عليهم ، وتولاهم الله بتوفيقه وتأييده ، فلما ضعف الحافز
الديني فيهم ودخلت العناصر الأجنبية في كينونتهم ، وتداخلت أسس التربية
والأخلاق ، وغربت رويداً رويداً شمس المعرفة من آفاقهم أعترتهم
نكسة الانحلال الاجتماعي ، والتخاذل الانساني ، فاحتل التتار بغداد
وقضوا على دولة العباسيين في المشرق ، ثم مشى الوهن شيئاً فشيئاً إلى
ملكهم بالاندلس أبان ملوك الطوائف حيث كانوا منقسمين إلى أكثر
من عشر ممالك في كل مملكة أمير يدعى أن له حق السيادة على الآخرين
حتى حل بملكهم الدمار ، وزالت دولتهم بالمغرب .

* * *

ولما آل الأمر إلى العثمانيين الذين أسسوا دولتهم بآسيا ومدوا
سلطانهم إلى أوروبا واستقروا بها ، ثم أزهبوا ملوكها ردحاً من الزمن
خضع لهم المسلمون في جميع أنحاء العالم كما أسس القياذ لهم العرب
وتفانوا في أرضاتهم وحبهم بوصف كونهم خلفاء المسلمين والقائمين
بالأمر فيهم فلما ارتطم أولئك العثمانيون بصخرة الانحلال ، وتفرق
الكلمة ، وغفلوا عن مصالح الشعوب العربية وغير العربية ، أخذت
الأقاليم تنحدر ، والجهل يسودها ، والظلم يفسد فيها والاستغلال الشخصي
والرشوة يعملان عملهما حتى ضجعت الرعية ، وثار الأقاليم ، وفي

مقدمتها البلاد العربية ، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ،
حيث قامت حركتان .

الحركة الأولى عربية لحا ودما وقد قامت في وسط البلاد العربية ،
وفي قلب الجزيرة ، وقادها قواد من صميم العرب ، ونعني بها حركة آل
سعود الأول في نجد ، فقد ثاروا على الترك بقيادة مؤسس دولتهم محمد
ابن سعود ، و « سعود الكبير » ، فاستولوا على الحجاز ونجد ، كما استولوا
على جانب من جنوب العراق . ووصلت خيولهم إلى « حوران »
في سوريا ، فأمر سلطان العثمانيين « محمود الثاني » ، محمدا عليا باشا وإلى
مصر بمحاربتهم . فأطاع أمر السلطان بأرسال جيش على رأسه ابنه
« طوسون باشا » ، ثم ابنه إبراهيم باشا . لأن هذا واجب التسامح
المتبوع - من أطاعة الأمر - ومع هذا فسجيا طوسون الكريمة
جملته يحقن الدماء ، ويعاقب الأمير سعودا عندما سنحت الفرصة ، كما

وهذه شمشنة حسنة . وضيعة كريمة . وهما جديرتان بأبناء دين يأمر بالعفو ،
ويدعو إلى التسامح . ويحث على الاعتصام بحبل الله . ويعتبر المسلمين جميعهم
أخوة . ويقرر في أكثر آيات قرآنه أن عظمتهم وهيبتهم لا يتخفان إلا بها .

وأما الحركة الثانية . فقد قامت بمصر ، على أساس استقلالها عن
تركيا ، كدولة عربية في تسلسل تاريخها ولسانها وعصرها ، وقد تولاها
محمد علي باشا بالاشتراك مع ابنه البطل إبراهيم باشا ، حيث جهزه على
رأس جيش إلى الأناضول ، وذلك لاقتطاع مصر وسائر البلاد العربية

الأخرى فيها لأصلاحيها ومنع الفوضى التي عمتها ، فلقى التأييد من السكان والآهالى ، حتى أنهم كانوا يرون فيه محرراً ومنقذاً ومصالحاً ، فلقب نفسه « صارى عسكر الجيش العربى » ، أى القائد الأعلى للجيش العربى - وظل هذا القائد يواصل تقدمه حتى بلغ « كوتاهية » ، فى قلب الأناضول ، ولولا أن صدرت إليه الأوامر من والده بالوقوف لاحتل (الأستانة) ودك دولة آل عثمان المتداعية .

والدليل على أن الغرض من هذه الحركة إنشاء دولة عربية فى وادى النيل تضم جميع الناطقين بالاضاد تحت رايتها أن ابراهيم باشا سئل فى أثناء حصاره (عكا) سنة ١٨٣٢ م : إلى أى مدى تصل فتوحاتك إذا تم لك فتح عكا ؟ فقال : « إلى مدى ما يتسكلم الناس وأتفاهم وإياهم باللسان العربى » ، وإذا كانت هذه الحركة لم تصل إلى غايتها . الا أنها أيقظت نفوس العرب ونبهتهم وجعلت التركى الصميم يتمصر ويتعرب ، وفى المقدمة ابراهيم باشا نفسه الذى أثر عنه أنه قال يوماً لبعض جلسائه :

« أنا لست تركياً . بل أنا مصرى عربى فاقده ،
« جئت مصر صدياً ، ومنذ ذلك الحين مصرتنى ،
« شمسها . وغيرت من دى ، وجعلته دما عربياً ،

ثم لما جاء عهد « الخديوى اسماعيل » ، قامت فى نفسه فكرة العروبة ، والعمل على وحدتها أيضاً ، ولكن بمعنى آخر ، معنى يقوم

على ربط الثقافة العربية بين ديارها ، وذلك عن طريق التفاهم العلمى
بين خيرة المثقفين من أبنائها ، فأسس (الجمعية العلمية الشرقية) التى
تسكونت من أعضاء يختارون من جميع البلاد العربية ، وكانت مهمتها
البحث العلمى ، والعمل على إنارة الأذهان بين أبناء العروبة ، وكان
الأدباء والشعراء سفراء الصلة بين أقطارها ، مثل الشاعر المصرى
« ابراهيم مرزوق » ، والشاعر اللبناني « ابراهيم اليازجى » ، والكاتب
السورى « أديب اسحق » ، كما كانت بعض الجمعيات الأدبية تعمل جادة
فى سبيل النهضة الأدبية العربية مثل (جمعية زهرة الآداب) التى
أسست فى بيروت سنة ١٨٧٣ م . كما كان الأزهر يد فى الصلات
الأدبية بين بنى العروبة عامة حيث هو مثاب اللغة والدين معا . ثم كان
للروح القومى والعنصرى الذى ظهر فى أوربا ، والاحتكاك المتجدد
بين الشرق والغرب أثر عظيم فى تنبيه الأفكار فى مصر وجيرانها من
الأقطار العربية إلى إحياء قوميتها .

وقد كان من المنتظر أن إعلان الترك دستورهم سنة ١٩٠٨ م
سليموى بينهم وبين العرب . ولكن اتضح أن الأمر على العكس . فقد
قام على أساس (الدولة الطورانية) التى تحيى نجد « جنسكيز خان » ،
و « تيمورلنك » ، ولم يعبا واضعوه بالروابط التى تربط تركيا بالعروبة
والإسلام ، فوقف العرب فى العراق واليمن وسوريا ولبنان ومصر
من تركيا وجها لوجه معادين عربتهم وقوميتهم .

وقد بدأت الجهود أولا بالدعوة إلى العروبة، ثم انتقلت إلى الدعوة إلى وحدة البلاد العربية واستقلالها ونهوضها .. فكان أن أسست الجمعيات والنوادي في الآستانة، وسواها من البلاد العربية، مثل جمعية النهضة العربية، ومنتدى الأدبي، وجمعية القحطانية، و حزب العهد، و العربية الفتاة، ثم عقد بعض المتحمسين من أبناء العروبة مؤتمرا عربيا برأسه السيد عبد الحميد الزهراء سنة ١٩١٣ في باريس بقصد الدعوة للعروبة...، ثم تغلغلت هذه الدعوة في نفوس الكثيرين من أهالي البلاد العربية على اختلاف ديارها. كأحمد زكي باشا، وأحمد تيمور باشا، والأمير شكيب بك أرسلان ومحمد علي علوبة باشا وعزيز المصري باشا وسواهم، طوال الحرب العظمى وبعدها، وأن كانت النواة قديمة، ولكن الدعوة صارت عملية بدخول تركيا الحرب مع الألمان، وأعلان العرب في الحجاز الثورة ضدها، لأن آثار الظلم لم تنزل تحز في نفوسهم على يد الجمعية الاتحادية، التي انبثت فروعها في قلب الجزيرة.

ولقد كانت الفرصة مواتية للإنجليز في خطب ودالعرب، واستمالة شريف مكة، الملك حسين، فيما بعد بوصف كونه قائد الثورة ضد الترك؛ وذلك ليحصل التوازن الذي اختل في الشرق بانضمام الترك إلى الألمان، فتردد هو ومن معه من أمراء العرب، ولكن أيضا لترك في الانتقام، وفتسكهم بالنجبة الممتازة من رجالات العرب

وأرسلهم مئات الأسرى العربية الكبرى إلى الأناضول لتقيم فيه إلى الأبد ، ثم تحديدهم أيهمم بنقلهم الأرمن إلى سوريا ولبنان جعل العرب في آخر الأمر تفضل التعاون مع الإنجليز على أساس الاعتراف بالاستقلال والمساعدة في إنشاء دولة عربية كبرى مستقلة ومطلقة من كل قيد وشرط ، كما جاء في مكاتبات - د الملك حسين بن علي مع السير مكماهون ، - وكان هذا في الحق أملاً جميلاً ، أمل تجديد الدولة العربية التي قضى عليها التتار . والتي تضم العراق والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، وتولى الحسين قيادة الحركة الجديدة التي تطوع فيها الحجازيون والعراقيون والسوريون واللبنانيون والفلسطينيون واليمنيون مقاتلين تحت علمها الحجازي ... وكذلك تقدمت مصر بالمال والرجال منضمة للحلفاء ، وذلك لغاية الاستقلال التام ، وقيام دولة وادي النيل العربية ، وانتهت الحرب بانتصار الجانب الذي ناصره العرب جميعاً ، فذهب مندوبوهم إلى مؤتمر فرساي ، بباريس ليطالبوا بتنفيذ الوعود التي ارتبط بها الحلفاء على لسان د مكماهون ، وغيره ، ولكن مع الأسف لم تتحقق الآمال ولم تنفذ الوعود .

وكانت نتيجة هذه الخدمات الغدر الشنيع بالملك حسين والقضاء على أطماعه الواسعة بأعطائه الحجاز لحسب ، أما العراق فقد استولى عليه الإنجليز حتى ثار سنة ١٩٢٠ م وسنة ١٩٢١ فولى عليه فيصل الأول ، وأما سوريا ولبنان فقد استولت عليهما فرنسا حتى ثارا عليهما

ثم قامت فيهما جمهوريتاها الاسميّتان إلى أن طردت منهما ، وأما فلسطين التي ألحق بها شرق الأردن ، فقد استولى عليها الانجليز وصارت موضع نضال وزاع وثورات بين العرب وبين اليهود بسبب وعد بلفور ، ثم اقتطع شرق الأردن وجعل أمانة ثم مملكة وعلى رأسها الملك عبد الله بن الحسين ، وأما اليمن فقد سلمها الترك للأمام يحيى حميد الدين عند جلائهم عنها سنة ١٩١٨ م ، وأما نجد والامارات العربية في الخليج فقد ظلت على حالها عقب الحرب العظمى حتى تغير مجرى التاريخ وصارت هي والحجاز في قبضة الملك عبد العزيز آل السعود ، وأما مصر التي رفع الانجليز عليها الحماية فقد ثارت سنة ١٩١٩ م ثم نالت استقلالها سنة ١٩٢٢ م ، على أن هذا الاستقلال الظاهري فيها وفي غيرها من البلاد العربية لم يغن عن الحقيقة المرة شيئا ، حيث لم تزل اليد الاستعمارية ، تتدخل في شئوننا جميعا ، بينما الصهيونية العالمية تستقر رويداً رويداً بفلسطين لاغتصابها في النهاية من يد أهلها العرب بمعاونة أولئك المستعمرين وأحلافهم كما سنعرض لذلك في موضعه من هذا الكتاب .

والواقع أن احساس العرب بعروبيتهم لم يخدم طوال الأربعمئة سنة التي كانوا فيها جزءا من الامبراطورية العثمانية ، فقد كان لهم اذ ذاك ادب عربي ضخم ، وثورة لغوية عربية ، وحركة تجديد مستمرة ، وأن كانت تسير ببطء . . . وأذا كان تقسيم البلاد العربية هذا التقسيم الذي تلا الحرب العظمى ، وما أعقبه من الانقسامات

السياسية والحزبية التي نجمت عن البرلمانات والدساتير التي يهيمن عليها الاجنبى اضعف شخصيتهم فان قوى التاريخ الخفية ظلت تعمل في نفوسهم عملا ايجابيا لصالحهم.

وذلك بدليل أنه لما تلبدت الغيوم في الجو العالمى سنة ١٩٣٩ م منذرة بحرب عالمية جديدة ، لم تغمرهم تلك الغفلة التي هيمنت عليهم من قبل ، ولم تنطل عليهم الأعياب السياسية ، فأخذوا عدتهم لتحقيق آمالهم ، وظلوا طوال اشتعال نار هذه الحرب متنبهين ، حتى لا يكونوا القربان الذي يقدم يوم يجلس المتحاربون على مائدة الصلح بعد وقف رحاها ، وتقدم بعضهم لبعض يواسيه إذا ألم به حادث ، ويؤازره كلما دعا للتآزر داع ، كما حدث عندما وقعت حوادث سوريا ولبنان بسبب اعتداء فرنسا عليها .

ثم كانت الأرهاصات التي تبشر بحادث عظيم ، وهو تكوين جبهة عربية لتحقيق بها أمانى العرب ، حيث يؤدون رسالتهم الجديدة على أساس التكتل المتوثب المنسجم ، وفي ظلال ذكريات الماضي العذاب التي لا يزال لها أشراق ونور ، وبهذا يفتقدون نظرية ابن خلدون القائلة : بصعوبة انقياد العرب بعضهم لبعض ، وبعدم اجتماع أهرانهم على أمر لما فيهم من أنفة ذلك لأن تطور البيئة ، ودوافع الحضارة ، وعوامل المدنية ، كما قرر علماء الاجتماع لها تأثير غير تأثير البداوة التي اكتسبتهم قديما الغلظة والمنافسة في

الرياسة ، ولهذا فانقياد العرب بعضهم لبعض واجتماعهم وتأزيم
وبخاصة في هذا العصر الذي قربت الاختراعات بين أجزائه البعيدة
وربطتها ربطا عجيبا أمر طبيعي تدفعهم إليه دوافع الحياة والمدنية معا .

وقد تجلى هذا في المؤتمر العربي العام ، الذي عقد بالاسكندرية
د بقصر انطونيادس ، في اكتوبر سنة ١٩٤٤ م برئاسة رئيس وزراء
مصر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا حيث أعلن بروتوكول
الجامعة العربية وقد مثلت فيه البلاد العربية ومنها فلسطين ، غير ان
الوزارة أقيمت وخلفتها وزارة جديدة برئاسة صاحب الدولة احمد
ماهر باشا فأعلن موضوع هذه الجامعة ، في خطاب العرش ، ثم
استشهد خلفه صاحب الدولة محمود فهمى النقراشي باشا ، وفي عهده
وقع هو ومندوبو الدول العربية باسم حكوماتهم ميثاقها - وكان ذلك
في ٨ ربيع الاول سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ م
والبلاد المؤلفة للجامعة هي : مصر والعراق والمملكة السعودية
وسوريا ولبنان وشرق الاردن واليمن ، أما فلسطين فلم يكن لها
مقعد وأن كان لقضيتها مكان مرموق لدى هذه الجامعة .

وهذا الميثاق يتضمن تنسيق الخطط السياسية لتحقيق التعاون
بين البلاد العربية . وصون استقلالها وسيادتها وتقرير وسائل التعاون
مع الهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام ،
وربط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين جميع البلاد

العربية، واعتبار فلسطين أمة لها وجودها، وأنها ذات استقلال
دولى من الناحية الشرعية .

أما تشكيلاتها فتتركز فى أمانتها التى تشرف على إداراتها الثمانية،
من سياسية . وقضائية . ومالية . وجنسية . وثقافية . واجتماعية . وصحية
الخ... وقد اعترفت بها الدول وفى مقدمتها إنجلترا وأمريكا،
وللجامعة مجلس يسمى مجلس الجامعة يلتقى فى دورتين كل عام، أحدهما
فى أكتوبر والثانية فى مارس، ورئاسة هذا المجلس بالتناوب .

وبوجود الجامعة تجلت الشخصية السامية للعروبة واتضح
لأعضائها أثرها الفعال فى الخير العام، كما اتضح لهم أن الانقسامات
القديمة التى نجمت عن تدخل الأجنبى كانت سبب الضعف الذى
أصابهم، ولقد كان من مظاهر هذه اليقظة العربية الجديدة، ما حدث
من صلات مادية وأدبية، وما تقرر من علاقات سياسية واقتصادية
ثم ما أعقب هذا من زاور بين رجالات البلاد العربية وملوكها
ورؤسائها، وهى سياسة حكيمة تملئها المصالح الخاصة والعامة، فقدما
كان التزاور بين الملوك والرؤساء عملا إيجابيا لمصلحة شعوبهم،
به يتغير وجه السياسة ويتجه إلى أنبل الغايات، كما حدث قديما فى
تزاور كل من « ادوارد السابع » ملك إنجلترا - و « بوانكاريه »
رئيس جمهورية فرنسا، حيث قام ميزان جديد بين الدولتين عاد على
كل منهما بالخير والمصلحة .

وفعلا أعقب تزاور كبراء العروبة عقد مؤتمر ملوك العرب

ورؤسائهم بمصر تلبية للدعوة التي وجهتها اليهم ..

ويعتبر هذا المؤتمر ثانى مؤتمر فى تاريخها أما المؤتمر الأول فكان فى عهد الدولة الأيوبية ، وكان إجابة لدعوة ملك مصر السلطان الكامل محمد الأيوبى بن الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبى ، وذلك عندما هجمت جموع الفرنج على مصر ، واحتلوا دمياط .. فى أوائل القرن السابع الهجرى حيث دعا ملوك العرب وأمراءهم ، فحضر إليه الملك المعظم عيسى ملك دمشق . والملك الأشرف موسى ملك خلاط والارمن ، والملك الظاهر ملك حلب . والملك عماد الدين صاحب بانياس . والملك الصالح اسماعيل صاحب بصرى . وتقى الدين محمود صاحب حماة . والملك الأجدد صاحب بعلبك . والناصر فلج أرسلان . وملوك الجزيرة ومعهم جنودهم ، وشاء الله أن تفشل جموع الفرنج ويرتدوا خائبين بفضل اتحاد هؤلاء الملوك وتعاونهم ضد عدوهم .

وليت هذه الروح استمرت متغلغلة فى نفوسهم على مدى التاريخ . اذ لو انها ظلت مستمرة ما حدثت تلك الازمات التى حلت بهم . والتى طالما انتهز خصومهم حدوثها فتسللوا الى معانقهم ويدهم المعاول التى ينقضون خفية

حينما وجهوا حينما آخر عليها حتى هدموها ومحووا آثارها . واستباحوا
حماها . وصار أمر تلك البلاد بيدهم لا بيد أهلها الذين أصبحوا عبيدا
بعد أن كانوا سادة ، وغدا لسان حالهم يقول :

« بينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة وعبيد ،
أجل هكذا كانوا .. وهكذا صاروا .

وهل من العبرة الوقوف على السياسة التي يتبعها أولئك الأعداء ،
فهم بعد أن يستتب لهم الأمر ، ينتزعون كل سلطة من يد ذويها . ويدعون
العمل على خدمة المصلحة العامة ، والنهوض بمراقفها . واصلاح
أحوالها . ورفع مستواها .. وما هم في الواقع إلا معوقين ليكل تقدم .
وحائلين بين كل اصلاح وباذرين بذور الفتنة والفساد والانحلال ، أما
عملهم في ايجاد الخلاف والانشقاق بين أبناء الوطن الواحد . والشعب
الواحد . فحدث عنه ولا حرج وأما شراؤهم الضمائر بما يغدقون من
مناصب ويوزعون من أقطاع . فكان الداهية الدهياء التي أصابت
الأمم العربية على أيديهم حتى وقفت طويلا عن اللحاق بركب الحضارة .
وفي فترات التاريخ القريبة زادت حال العرب سوءا خلال الحرب العظمى
وبعدها حيث عمل الأعداء على تجزئة البلاد العربية وأضعافها وأنهاك
قواها ، وخلق الفتن والثورات بها . ثم ضاع النواة السرية لخلق دولة
اسرائيل الملعونة في فلسطين الحزينة ، بينما العرب مشغولون بما هم
فيه عن خطر الصهيونية الخفية والذي يتجسم وينمو ، ويجدد السند
والمدد .. وجاءت الحرب العالمية الثانية وظن العرب أنهم سينالون
حقوقهم كاملة جزاء وفاقا لما قاموا به من مساعدات للحلفاء المنتصرين ،

والسكنهم جوزوا بما جوزى به « سنهار » صاحب المثل المشهور .
فاجتمعوا في مؤتمرهم التاريخي كما قلت .

« وبعد المداولة في المسائل العامة والخاصة بالشئون العربية ،
« وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية ،
« المشتركة في جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة في السلم الدائم بينها ،
« وبين جميع دول العالم ، وأن عليها بذل كل ما تستطيع في ،
« سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك ،
« التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية ،
« الثقة بها ،

« ثم تداولوا في قضية فلسطين من شتى نواحيها فرأوا أن ،
« قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هي قضية ،
« العرب جميعاً وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها ،
« صيانة عروبتها ، وأنه ليس في إمكان هذه الدول أن توافق بوجه ،
« من الوجوه على أية هجرة جديدة ويعتبرون ذلك نقضا صريحاً ،
« للكتاب الأبيض الذي ارتبط به الشرف « البريطاني ، ولهم ،
« عظيم الأمل ألا يعسكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول ،
« والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيةين الصديقتين من ،
« جهة أخرى أي تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة ،
« بحقوق عرب فلسطين حرصاً منهم على دوام هذه الصداقة ، ،
« وتفادياً لرد فعل يفضأ بسبب ذلك ويفضي إلى اضطرابات قد ،
« يكون لها أسوأ الأثر في السلم العام . . . أما فيما رأوا زيادة على ،

« ذلك فقد كفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى ،
« مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم في هذا ،
« الشأن ليتخذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز ،
« على قلوب العرب أجمعين ،

« ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ووجدوا أنفسهم ،
« متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعي ،
« وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لآمن مصر والبلاد ،
« العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التي قضى ميشاقها برعاية ،
« شئون العرب ومصالحهم أن تهنيء الأسباب لهذا الاستقلال ،
« وأن تشهد في بادئ الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية ،
« في تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض ،
« بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية ،
« ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور في المسألة المصرية فبعد ،
« المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر ،
« القومية واستكمال سيادتها ووجلاء القوات البريطانية عنها أمر لا بد ،
« منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم ، وهم يؤيدون مطالبها الحقة ،
« ويسندونها بكل ما في استطاعتهم وقد سرهم ما سارعت اليه الحكومة ،
« البريطانية في تصريحها الذي ألقاه المستر « اتلي » رئيس وزارتها ،
« في مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذي أعلن فيه عزم حكومته على ،
« سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضي المصرية بما ،
« كان له أحسن الأثر في نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم ،

« وهم يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهداً جديداً ،
« في علاقاتهم مع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التي يرجون أن تقام ،
« على أمن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين ، وهم ،
« يعلمون أن في هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار ،
« والسلام في هذه الناحية من العالم ،

« ثم تناولوا شئون البلاد العربية الأخرى وقد عرض عليهم كثير ،
« من شكواها فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعي لحريتها ،
« وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ،
« ومشاركتهم في جامعة الدول العربية ،

« وأخيراً يفتنمون فرصة اجتماعهم هذا ليعثوا كاخوة متضامتين ،
« متحدتين إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ،
« ويعلنون ثقتهم النامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد ،

وفي النهاية قرر المجتمعون التوجه بعظيم الحمد ووافر الشكر الى مصر
الشقيقة الوفية على أن هيأت لهم هذا الاجتماع التاريخي الذي يرجون
من ورائه خيراً لبلادهم ، واعزازاً لجامعاتهم

وكان يتولى سكرتيرية هذا المؤتمر التاريخي العظيم صاحب السعادة
عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية ، وبعد أن انتهى
المؤتمر من عمله عاد المؤتمر إلى بلادهم مشبعين بالخفاوة والتبجيل .

ثم أبرقوا لمصر برقيات الشكر على ما لاقوه من الترحيب والتكريم ،
فردت عليهم متمنية لهم الخير . ولبلادهم المجد في ظل وارث من
العز والسعادة .

* * *

ولما كانت العروبة رابطة بين بذيها فقد يلجأ المضطهد منهم إلى
أى حمى من حماها سهل عليه الوصول اليه وكان على صاحب هذا الحمى
أن يجبره ويؤمنه ، مادامت الفكرة التى اضطهد من أجلها فكرة وطنية ،
ولذا فقد احتفى كثير من أحرار العرب المضطهدين فى سبيل أوطانهم
بملوك العروبة ورؤسائها فأمنوا ، كالقائد الباسل ، فوزى القاوقجي ،
حيث احتفى بسدة الملك فى العراق ، وكابطل الشجاع ، السيد رشيد
على الكيلاني ، حيث احتفى بسدة الملك فى الحجاز . وكالحرمي المشرقي
فى سبيل بلاده فلسطين ، السيد محمد أمين الحسيني ، وكبطل الريف
المشهور الأمير ، عبد الكريم الخطابي ، وأخيراً القائد الأردني

الكلونيلى عبد الله بك التل حيث احتفوا بمصر المضيافة الكريمة
فأوتهم ورحت بهم ترحيباً منقطع النظير

وأن الائتلاء السيامي مقرر فى عصبة الأمم سنة ١٩٢١ م فقد
ألغت له لجنة باسم « لجنة باريس » وقررت ألا يرغم المتجنى على
العودة . ولا يطرد ، بل للحكومة التى يلجأ إليها أن تحميه إن شاءت ،
وكذلك قررت هيئة الأمم هذا الحق - ثم أن المادة ١٥١ - من الدستور
المصري الخاصة باللاجئين السياسيين تقرر ما يأتى :-

« تسليم اللاجئين السياسيين محظور وهذا ،
« مع عدم الاخلال بالاتفاقات الدولية التي ،
« يقصد بها المحافظة على النظام الاجتماعى ،

وإذا كان « للجامعة العربية ، يد فى كثير من الشؤون العامة
والخاصة التى عادت بالخير على بنى العروبة أفرادا وجماعات فأنها مع
هذا تحتاج لإعادة النظر فى كثير من الشؤون ، كأن يصدر نص متفق
عليه بعدم جواز إبرام أية دولة من دولها معاهدة عسكرية مع دولة
أجنبية إلا برأى مجلسها وأقراره . حتى لا تجعل للتدخل الأجنبى سبيلا
إلى وحدتها ، كما أن عليها أن تحتفظ بشخصيتها الدولية فلا تجعل لمستشار
أى دولة أجنبية ، أو سفيرها مثلا أى رأى أو أى تدخل ، كما بدر من
مستشار بريطانيا يوم اجتمع وزراء خارجية دولها ، وعليها أيضا أن
تتوسع فى ميثاقها حتى يتسع لسوى أعضائها الحاليين ، وكفى ما حدث
من النزول بالمستوى الأول يوم عقد المؤتمر العربى العام الذى مثلت
فيه فلسطين وسمى بروتوكولا إلى المستوى التالى الذى لم يشملها والذى
سمى « ميثاقا » ، وأن تتعظ بما مضى يوم أن كان أنقاذ أراضى فلسطين
يأخذ فراغا كبيرا من الأقوال والمواعيد وفراغا ضعيفا من العمل
والتنفيذ ، وكذا مسألة الجوازات وسواها ، كما عليها ألا تعطى المركزية
فى الأمانة لفررد إذا ما غاب أو مرض أو شغله شاغل وقف دولاب
العمل . . على أننا مع هذا نسند لها بكل قوانا فهى كتلة عربية نعتز
بها ونلجأ إليها فى الأزمات ، ثم إنها وأن كانت وردت أول ما وردت

على لسان «ايدن» ، وزير خارجية إنجلترا بقصد إيجاد تسكتل عربى
فى جانب الحلفاء إلا أنها انتجت حركة مركبة تكافح فى سبيل الوحدة
كما تكافح فى سبيل الاستقلال .

* * *

أن وجود الجامعة ضرورى لحفظ كيان البلاد العربية ووحدتها
ونوضحها ، وهو حقيقة ملموسة ومشاهدة ، فقد عاشت بلادنا العربية
حقبا طويلة ، وهى فى عزلة عن أخواتها ، كما عاش بعضها فى معزل
عن الحياة الدولية العامة ، فكان الانهيار والتأخر ، وكانت المحن
والخطوب . . . ، فلما توحدت صفوفها ، وتدعمت وحدتها ، صارت
لها شخصية محترمة ، وكلية مسموعة . وأصبحت كتلة دولية يحسب
حسابها وتنطبق عليها المادة ٥٢ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ومن
المقرر أن كل تسكتل واتحاد ، تتبعه المنعة والسلطان ، فقديمًا اتحدت
أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية بعد الحرب الأهلية سنة ١٨٦٢ م
وكونت الجمهورية الأمريكية العظيمة ، واتحدت الإمارات الإيطالية
سنة ١٨٦٩ م وكونت الدولة الإيطالية التى أحيت مجد روما زمنًا
طويلا . واتحدت أمارات الجرمان سنة ١٨٧٠ م وكونت الدولة
الألمانية التى تحددت العالم بحريين عالميتين فى أقل من ربع قرن .

* * *

واقدم قامت هذه الجامعة على أساس ألا تقتصر جهودها على
الأمم التى بدأت بالمساهمة فى تكوينها لأن مدى أعمالها يمتد من
المحيط الأطلنطى إلى الخليج الفارسى كما يمتد إلى العرب الذين فى الدنيا

الجديدة حيث بالأرجنتين وحدها نحو ٤٠٠ ألف عربي فيهم نواب وشيوخ . وليس هناك ما يمنع من الصلات الخاصة بينها وبين الدول التي تربطها بها روابط تاريخية وثقافية كإيران ، وأفغانستان ، وتركيا ، وما يبرر هذا أن اتحادها غير عنصري ، لأنه يرمى إلى التعاون الانساني . ويمقت المعميات في قاموس السياسة . ويعمل على إزالة كابوس الاستعمار الذي أصبح يضر المستعمرين أنفسهم . ويصارع العالم بالأفلاع عن نزعة الطمع التي قد تؤدي إلى حرب عالمية ثالثة لا تحتملها الانسانية مهما كانت الحجاج والبراهين ، وهي تعتر بمكانتها لنباله مقصدها ، وقد فاز أعضاؤها الذين رشحتهم في هيئة الأمم العالمية بالانتخاب ، وكلما قوى تماسكها جنى أعضاؤها الثمرات الطيبة ، فالاعتماد على العدل الدولي عبث ، إذ لم يزل ميثاق الأطلنطى والنداء بالحرريات الأربع وقيام نظام للعالم خير من عصبة الأمم من القضايا التي يعوزها التطبيق ، بدليل ما صنعتته فرانس في سوريا في الوقت الذي كان يجتمع فيه مؤتمر سان فرانسيسكو ، لضمان السلم العالمي ، وبدليل موقف مجلس الأمن من قضيتي فلسطين ومصر ، وغير ذلك لقد دللنا عبر التاريخ على أن عمل كل أمة من أمم العروبة مفترقا نتيجة اختلاف النظر فيها كان سببا في تكرار تلك الحماقات التي قضت على استقلالها وتقدمها . وإذا كانت الفرص التي تمتحن فيها البلاد العربية قد واثمتها فيجب ألا تضيعها . وأن تكون حركتها في الالتفاف حول الجامعة حركة ذاتية ، وأن تحترس من الساسة المحترفين ، وأن تفكر في شئون بلادها على ضوء مصالح شعوبها عاملة على تنقيتها من كل عوامل التأخر

والتخلف عن الأمم ، بحيث تدفع بلادها إلى الأمام دفعا ، وتسير بها
خطوتين إذا ما سار العالم المتمدين خطوة واحدة ، لتدرك بها مافات
- والثانية - لتسائر التطور الجديد ، حتى تأخذ المجد أخذنا لأن طبيعة
المجد أن يؤخذ ولا يعطى . . . ثم عليها بعد هذا ، ومع هذا . وقبل
هذا أن تسليح داخلا وخارجا ، ماديا وروحيا موحدة النظم والتدابير
والمعدات فيكون لها جيش يحرس الجنى في السلم والحرب ، ويكون
ذا مكان استراتيجى فى الشرق الأدنى . وهذا التسليح هو الزم لنا من ظلمنا ،
وقد كان طبيعة فينا معشر العرب منذ القدم . حتى أنه ما وجدت لغة
من لغات الأرض وضعت للسيف أسما مأقـدار ما وضعنا ، كما أنها لم
تضع لمظاهر الشجاعة والفتوة فى الحيوان - كالأسد - والإنسان -
كمقدام - بعض ما وضعنا ، ويرحم الله السيد جمال الدين الأفغانى فقد
قضى حياته فى إيقاظ الهمم الفاترة وأشعال نار الفتوة والتضحية ،
والإهابة بها إلى استرداد عزها وسوددها بثلاث - بالاتحاد - والصلابة -
والتسليح ، فإذا لم تفعل ظلت مع الغرب كحمل بين فكي ذئب جائع ،
وكغزال تحت ناب أسد مصور . . . لنسكن شجعانا - فطالما كانت الشجاعة
من أزم صفاتنا ، وكما كننا نفتتح بلاد الأعداء بالرعب ، ونغزوهم بمكارم
الأخلاق ، وثبتت فيهم دعائم ملكتنا بالعدل والرحمة والإنصاف ،
والإنشاء والتعمير ، والعلم والثقافة معتمدين بعروة الله الوثقى . عروة
الوحدة والجماعة .

مأساة فلسطين الجريحة

لم تنته فصولها



هذا الحمى لن يستباح

قامت فلسطين العربية على يد كل من إنجلترا وأمريكا والصهيونية
الأمريين بعد الحرب العظمى إلى اليوم ، فلقد أقضت السياسة الانجليزية
مضجهم وأباحوا للصهيونية أن تستبيح خدرها ، فتقتل ، وتغتصب ،
وتحرق ، كي تهددها وتمحو عروبتها ، مستندة إلى حماية الانتداب

الانجليزى لها من جهة ، وإلى عطف أمريكا وبعضها روس الأموال
على يد أغنيائها اليهود من جهة أخرى ، كل هذا ليعيد اليهود وطنهم
القومى الذى فقدوه منذ أكثر من ١٨٠٠ سنة ، وذلك تنفيذاً لوعدين
كما يقولون !!!

أما الوعد الأول : فوعد الرب يشوع بأن يعطيه هذه الأرض
المقدسة ، على أن هذا الوعد لم يتحقق على صفة أممية دولية ، بل كان
كسحابة صيف ، فان يشوع سار إلى دأريحا ، وفتحها مستعملاً
القسوة ضد أصحابها السكنايين هو وجنوده ، فسلط الله عليهم ملك
آشور فابادهم وانتهى الوعد أو كاد . فأخذوا ينوحون حتى عاونهم
د قورش ، ملك الفرس فعادوا لا لإقرار ملك بل للشعب ، فحاصرهم
الرومان وخربوا ديارهم ، وباعوهم كعبيد ، وتحقق بذلك قول السيد
المسيح : -

د يا اورشليم ، يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين ،
د كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع ،
د الدجاجة أفراخها تحت جناحيها فلم يريدوا ... ،
د هو ذا بيتكم بترك لكم خراباً ... ،

وفعلاً لم يتجمعوا وظل بيتهم خراباً ، وعاشوا مشتتين فى الأرض
وذلك منذ ١٣٥ ميلادية فى عهد الإمبراطور الرومانى ، أدريانوس ،
ثم تقالت القرون وأصبحت (اليهودية) فى العالم عقيدة دينية . لا
جنسية وطنية ، فقد تزوج اليهود مع الشعوب التى اختلطوا بها ،

وتحول إلى اليهودية كثيرون من غير بني إسرائيل ؛ ولما رفعت القيود التي كانت تفرضها الدول المسيحية على اليهود تجنسوا بجنسيات البلاد التي عاشوا فيها ، ولم تعد فلسطين في نظر كل يهودي في العالم سوى ذكرى روحية فحسب .

ومن العجيب أن هؤلاء اليهود لم يرعوا قداسة هذه الأرض المباركة ، ولا قداسة مسجدتها كما يدعون ، بل الذين رعوا هذه القداسة هم المسيحيون والمسلمون ، بدليل أن المسيح عليه السلام ، لما دخل مسجد الصخرة سنة ٣٣ م . ورأى اليهود قد دنسوه واتخذوه مكانا للبيع والشراء ، والصيرفة والمراباة ، غضب وبكى وطهره من رجسهم .. ثم قال : هذا بيت الله . وصلى ووعظ ... وبدليل أن محمدا عليه السلام ، قال في حديث صحيح : لا تشدد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد - المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ، وكيف لا . وقد أسرى الله به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة .. وقد أثبت التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح القدس ودخل كنيسة القيامة وجاء وقت الصلاة ، قال له المطيريك : صل مكانك يا عمر . فقال : لو فعلت لجاء المسلمون بعدى واتخذوها مسجدا ، وقالوا : د هنا صلى عمر ، ثم ابتعد عنها رمية حجر وفرش عباؤه وصلى . فبنى المسلمون في مكان مصلاه مسجدا وتركوا الكنيسة لأهلها ولقد أثر عنه أنه قال عند ذلك الفتح : د يا أهل ايلياء ، لكم ما لنا

و عليكم ما علينا ، ... فأين هذا من قول رجل الاستعمار الانجليزى
المسمى - النبي - الذى صاح يوم دخوله القدس إبان الحرب العظمى
وهو يضرب بقدميه الأرض : اليوم انتهت الحروب الصليبية ، ؟ ...
هذا ولما شك المسيحيون لعمري ما يفعله اليهود من أذى وأفساد تعمدهم
لهم ألا يسكن يهودا معهم ، وأن يأتوا جماعة جماعة لآداء واجباتهم
الدينية لحسب ، وذلك منعا لآذاهم ، هذا ما يتصل بالوعد الاول .

أما الوعد الثانى « فوعد بلفور ، الذى يقول - :
« أن الوزارة البريطانية تنظر بعين الرضا إلى إنشاء وطن قومى ،
« لليهود فى فلسطين ، وأنها ستبذل أقصى جهدها فى سبيل تحقيق هذا ،
« الغرض ... على أنه يجب أن يكون مفهوما فهما صحيحا أنه ان ،
« يعمل شئ مع هذا يمس الحقوق المدنية أو الدينية للطوائف غير ،
« اليهودية التى تقيم فى فلسطين ... أو يمس الحقوق والمزايا السياسية ،
« التى يتمتع بها اليهود فى أى مملكة أخرى .

وهذا الوعد خطأ من كل جهة ، فانجلترا لا تملك حق إعطائه - لأن
فلسطين التى اقتطعتها من سوريا بعد الحرب العظمى ليست ملكا لها .
وفاقد الشئ لا يعطيه ... وإنما هى ملك للعرب - أهلها الاصليين -
منذ أكثر من ألف سنة وهم لم يزالوا فيها ، فكيف يزاحم غير
مالك صاحب الملك فى ملكه ويحتله كله أو جزءا منه ؟ ، ثم أن
المساكنات التى دارت بين « روتشلد ، ممثل اليهود فى انجلترا وبين

الحكومة البريطانية حول هذا الوعد لم تكن سوى مجرد عطف على
أمانى اليهود.. بدليل أن الحرب العظمى لما انتهت وطلب اليهود ١٩١٩م
عرض قضيتهم على مؤتمر الصلح، رفض طلبهم لمخالفة وعد بلفور
هذا للقانون الدولي... ويضاف إلى هذا أن وعدا آخر سبقه أعطى
الملك حسين بن علي، باستقلال البلاد العربية ومنها فلسطين جزاء
محاربتها في صف إنجلترا وحلفائها ضد تركيا وألمانيا... وكذا معاهدة
سكس بيكو، بين إنجلترا وروسيا سنة ١٩١٦م - فأن هذه المعاهدة
تتأني هذا الوعد أيضا. وذلك فضلا عن أن القانون الدولي ينص على
ألا تقوم أية دولة من الدول على قاعدة المذهبية. بل على قاعدة
الجنسية. والصهيونية مذهب من المذاهب الدينية وليست جنسا
من الأجناس البشرية - كما أنها تتأني شروط «ولسن» الأربعة عشر التي
تقرر أن كل بلد يجب أن يكون لأهله، وأهل فلسطين هم العرب الذين
يكونون نحو ٦٧٠ ألفا ليس فيهم من اليهود إلا النزر اليسير، وقد
ظلوا فيها هم والقلّة من اليهود عشرات الحقب بتقاليدهم العربية
وقوانينهم العربية، وحكوماتهم العربية.

وكان يجب أن تقف مسألة فلسطين عند هذا الحد لو وجد العدل
والانصاف طريقهما إلى القلوب والنفوس ولكن الطمع والجشع
والانانية وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ألف القدر من مجموعها مأساة
مروعة كل ضحاياها فلسطين العربية... فقد مهد الإنجليز السبيل بعد
انتدابهم عليها للوكالة الصهيونية بالتحكم، ولجاعات الصهيونية من كل

فج بالاستقرار والتلك ، كما باركت عصبة الأمم سنة ١٩٢٢ الانتداب
البريطاني بوثيقة في مقدمتها وعد بلفور مع أن هذه العصبة نفسها هي
التي رفضت طلب اليهود سنة ١٩١٩ ، فكيف أحلت اليوم ما حرمته
بالأمس ١٩٠٠

ومن المضحك المبكى أن يرعى الانجليز طؤلاء اليهود حبل البغي
حتى تجاوزوا الحدود ، واستولوا على « البراق الشريف » الذي هو
خاص بالمسلمين ، وهو قبة في طرف المسجد الأقصى ، فلما هاج العالم
الاسلامي وتآلفت « لجنة البراق الدولية » ، التي مثلت فيها مصر
والعراق وغيرهما من البلاد العربية والاسلامية ، حكمت اللجنة بأن
البراق للمسلمين سنة ١٩٢٣ ، ومع ذلك فإن الانجليز تحيزوا لليهود
وأباحوا لهم أن يطلقوا عليه اسم حائط المبكى ، وأن يتجروا على
انتهاك حرمة وحرمة المسجد ، بل ويغتصبوه ، مع أن المسلمين حبسوا
أوقافهم عليه ١٠٠٠

ثم تتالت الأحداث والاضطرابات والثورات التي من أهمها ما
حدث في سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٦ ، وكذلك عقدت
المؤتمرات التي من أهمها « المؤتمر البرلماني العربي » الذي عقد بمصر
سنة ١٩٣٨ برئاسة محمد علي علوبة باشا ، والمؤتمر النسائي الشرفي المنعقد
بمصر أيضا في السنة المذكورة برئاسة السيدة هدى هانم شعراوي ،
وذلك لاسماع العالم حق فلسطين العربية ، والدفاع عن هذا الحق ،

فلجأت انجلترا إلى طرقها الخداعة التي اتبعتها من قبل ، والتي
تتبعها دائما لذر الرماد في العيون - طرق تأليف اللجان - وعقد
المؤتمرات ... أما اللجان فمنها « لجنة بيل » ، و « لجنة شيل » ، و « لجنة
وودهد » ، وسواها من اللجان التي كثير عددها وكثرت مسمياتها ، حتى
وصلت لغاية سنة ١٩٤٦ نحو ١٨ لجنة . وهذه اللجان كما يقول
الكاتب الانجليزي الأشهر « برناردشو » ،

« إن هذه اللجان ما هي إلا سخرية بالشعوب ،

« الضعيفة . ولا يمكن للأمم المستعبدة الخلاص ،

« من ربة الاستعباد على يد لجان تؤلف مطلقا ،

ولقد صدق بأن هذه اللجان كلها لم تأت بشمرة ، ولم تحل مشكلة
فلسطين ... وأما المؤتمرات فأهمها « مؤتمر المائدة المستديرة » ، الذي
عقدته بلندن في (قصر سانت جيمس) في فبراير سنة ١٩٣٩ لما رأت
نذر الحرب العالمية الثانية تأتي من النازية والفاشية . حيث حضره
ممثلو البلاد العربية برئاسة سمو الأمير عبد المنعم ، وكان لرفعة على ماهر
باشا رئيس الديوان الملكي العالي المصري جولات موفقة انتهت
بإصدار انجلترا « الكتاب الأبيض » ، ولكن قابل اليهود هذا الكتاب
بالرفض لأنه لا يحقق لهم إنشاء دولة يهودية . وكذلك العرب أيضا ،
لأنه لا يحقق استقلال فلسطين العربية ، فضلا عن الأثر الذي يترتب
عليه من تدفق المهاجرين اليهود وتشجيعهم على انلاك أراضي العرب ،
وظل التذمر مستمرا ، ولكن الحرب العالمية الثانية اشتعلت ، فوقف
النشاط من الجانبين .

لقد كان عرب فلسطين في هذه الحقبة من الزمن - أى منذ
الاتحاد الانجليزى إلى أن اشتعلت هذه الحرب - يعانون انشدائد ،
وكانت المقادير تفاجئهم بالأحداث على غير انتظار حتى أذهلتهم ،
فوقفوا حيارى ينظرون ١١ . . . ينظرون إلى الماضى المظلم ،
ماضى ظلم الحاكم المنتدب ، وظلم الدخيل المزاحم ، فرأوا ،
وباشر ما رأوا ١١ رأوا السياسة الغاشمة التى اتبعت معهم
هى حرمان من جميع الحقوق المشروعة ، من حرية ، وتعليم ،
وحياة اجتماعية واقتصادية سليمة ، ثم نفي البعوض عماثم إلى سيشل ،
و « رودس » ، وتشريد الآخرين فى ديار الغربة . ثم مع هذا كله منعهم
من أوقافهم الإسلامية واستغلالها وتشجيع خصومهم على الاستيلاء
على أراضيتهم ، ... وجملة القول أنهم حرم عليهم كل شئ ، وأحل لليهود
كل شئ ، وفى مقدمته القوة وإعداد العدة ، حيث اتخذ منهم قوة
بوليسية تحولت إلى قوة حربية أدمجت فيها رويداً رويداً
قوى حربية أخرى يتراوح عددها بين الستين والثمانين الفا أطلق
عليها فيما بعد اسم « الهاجاناه » واسم « اشترن » واسم « أرجون زفاى » ،
ولقد صارت لها مصانع حربية سرية متنوعة . . . ثم ما كان من
اندماج نحو الـ ٣٥ الفا من أفرادها فى ميادين القتال إبان
الحرب العالمية الأخيرة ، وفى مصانع الذخيرة ، بما كان له أثر فى
خبرتهم الفنية والصناعية والحربية ، ويضاف إلى هذا ما اختلسوه
سراً من عدة وذخيرة ، حتى صارت هذه القوى خطراً يهدد الأمن ،
وهذا فضلاً عن المال الوفير الذى يرد ليهود فلسطين من يهود العالم

وفيه يهود أميركا الذين يبلغون نحو الأربعة ملايين ونصف والذين يدفعون سنويا نحو خمسة ملايين ونصف من الدولارات لمؤلاء اليهود ...

ولما صارت ربحى الحرب على أهبة الوقوف أعلن «ترومان» رئيس الولايات المتحدة أباحة هجرة اليهود إلى فلسطين . وطلب من انجلترا المساعدة فى ذلك ، فأعلن «بيفن» وزير خارجية انجلترا رغبة حكومته فى تسوية المشكلة . وأشار إلى استمرار الهجرة بصفة مؤقتة . كما أشار إلى تحويل الانتداب إلى وصاية وفقا لميثاق «هيئة الأمم» ، فأثار ذلك العرب ، وعادت اللجنة العربية العليا المسكونة من زعماء فلسطين ، والتي كانت قد حلت - طوال مدة الحرب - إلى الانعقاد - وأعلنت أن الكلمة الأولى والأخيرة للعرب أصحاب البلاد - لا لأمريكا ولا لانجلترا ، وأن مشكلة اليهود لا يصح ربطها بفلسطين ، وأن الهجرة ممنوعة وغير مشروعة ، وكذلك ردت الجامعة العربية بأن العدل ألا يعالج ظلم قديم بظلم جديد . وبأن إيواء الصهيو نيين لا يكون على حساب العرب فى وسع انجلترا وأمريكا إيواؤهم ، ثم أخذت الأمور تتعقد وانتهى الأمر بعرض قضية فلسطين على هيئة الأمم فى منتصف يونيه ١٩٤٧ فألفت لجنة تحقيق دولية زارت فلسطين وغيرها من البلاد العربية وغير العربية . ثم قدمت تقريرها . فأذابه يشير إلى التقسيم وإلى إنشاء دولة يهودية وأخرى عربية وأعقب ذلك أن أصدرت الهيئة قرارها بالتقسيم فى

نوفمبر سنة ١٩٤٧ م

وعلى أثر ذلك اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية . وقررت وجوب تنفيذ قرارات بلودان ، ومقاطعة كل دولة تساعد اليهود ، خاصة وهذا التقسيم حابي اليهود محاباة ظاهرة فقد أعطاهم الأجزاء المهمة والغنية من فلسطين ، وأيد هذا التقسيم أمريكا وروسيا وغيرهما من أعضاء هيئة الأمم ، ووقف مندوبو العرب في هيئة الأمم يفتدون رأى اللجنة ولكن بدون جدوى فعادوا ، وعقد مجلس الجامعة العربية وقرر وجوب اتخاذ تدابير عسكرية على حدود فلسطين تحفظ حقوق العرب إذا ما تحركت القوات الصهيونية مهددة أهلها العرب ،... خاصة ، وقد أعلنت انجلترا الجلاء عنها محددة لذلك موعدا ، كما قرر مد عرب فلسطين بالمساعدات من كل حكومات الجامعة . وتعاضدوا للدفاع عن أنفسهم ، واشتعل الحساس في النفوس ، فأخذ الناس يجودون بأموالهم ، كما يتقدمون للدفاع عنها ملتحقين بالفرق العسكرية . كجيش التحرير العربي وجيش اليرموك وغيرهما من الفرق العربية الفلسطينية وغير الفلسطينية التي أخذت عدتها للدفاع ونجدة أهلها . وقد كان لقوات السكومانوس بقيادة أحمد بك عبد العزيز ، ولجاعات الإخوان المسلمين جهاد موفق .

وعند ما أعلن الإنجليز إنهاء انتدابهم وحددوا له يوم ١٥ مايو من نفس السنة ١٩٤٧م لم ينتظر اليهود ، بل أخذوا يغزون البلاد ، وينتهزون الفرص لاحتلال كل جزء فيها ، سواء أدخل في التقسيم أم لم يدخل غير متورعين عن بقر بطون الحوامل ، وذبح الأطفال . وهتك

الأعراض وما كاد يأتي آخر يوم من أيام الانتداب . حتى كانت فلسطين التي دخلها الانجليز وهي آمنة مطمئنة تسيل دما وتشتعل نارا ، فتحققت خيبة هذه الحضارة الغربية التي مثلها الانجليز في هذه الأراضي المقدسة بعد ستة وعشرين عاما بأقرار المستر د اتلي ، رئيس الوزارة البريطانية إذ يقول :-

« لقد خابت الأمانى . ونحن نودع فلسطين ،

وعندئذ تحركت جيوش الحكومات العربية زاحفة لمنع الصهيونيين من احتلال كل مكان تخليه الحكومة المنتدبة . ومنع الفساد والعبث للذين ترتكبهم ما من قتل ، ونهب . وتشريد ، ومن انتهاك حرمة الأماكن المقدسة وفي مقدمتها المسجد الأقصى الذي كأن الشاعر قد عناه بقوله :

مررت بالمسجد المحزون أسأله

هل في المصلى أو المحراب مروان ؟

تغير المسجد المحزون واختلقت

على المشابر أشجار وعبدان

فلا الأذان أذان في منارته

إذا تعالى ولا الأذان أذان

وذلك فضلا عن تسميمهم الآبار ، ونشرهم الميكروبات ، بما تأباه أبسط قواعد الحروب ، وأبسط مبادئ الانسانية ، ودارت رحى الحرب لتلك الغايات الانسانية السامية من جهة العرب ، ولتخليص

إخوان مجاورين تربطهم بهم أواصر الدم والعروبة ، وهم عزل من كل
قوة إلا قوة الحق ، فإذا حصون اليهود تدك ، ثم أذابهم حينما أحسوا
بأس العرب وقوتهم يشكون لمجلس الأمن ويبيكون ، لاجئين إلى
أسلوبهم التقليدي أسلوب الاستصراخ ومناشدة الدول ، فعرض الأمر
على مجلس الأمن فأخذ وأعطى بحثاً ودرساً ، وأطال النظر . ثم أعاد
النظر لأن خروج اليهود عن الجادة واضح لـكل ذى عينين ؛ ولكن
الهوى ومناصرة الباطل من جانب أمريكا وانجذارة ومن مشى في
ركابها تغلبا على الحق . فصدر الأمر بوقف القتال ؛ وأعطاه العرب
مهلة ، ثم تعين د الكونت فونت برنادوت ، وسيط هيئة الأمم في حل
مسألة فلسطين بين العرب واليهود ، فحضر إلى البلاد العربية ، ومواقع
الحرب ، واتصل بكل الأطراف المتحاربين ثم قدم أخطارا بوقف إطلاق
النار وعقد الهدنة لمدة أربعة أسابيع تبتدى من يوم ١١ يونيه ١٩٤٨
فقبل الطرفان الهدنة في الوقت المحدد ونفذت فعلا من العرب ، أما
اليهود فخرقوها ، ورفع الأمر من العرب للوسيط ولهيئة الأمم ولكن
بدون جدوى ، ومع ذلك ظل العرب على عهدهم ، وأخذوا يدهمون
الروابط بينهم ، وزار الملك عبد الله ملك شرق الأردن البلاد العربية
فأحسن استقباله ملوكها ورؤساؤها ، وما كادت تنتهى أيام الهدنة حتى
طلبت هيئة الأمم مدها ، فأبى العرب ، وذلك لعدم الجدوى . فاليهود
يخرقونها كل يوم ، ويحضرون الامدادات ، ويزيدون في الاستعداد ،
ومن ورائهم الوسيط وأعوانه ، وهيئة الأمم منطاعة لأمريكا في
أسنادها ظهر اليهود ، فتحركت الجيوش العربية من جديد في ١١ يونيه سنة

١٩٤٨ ، فقرر مجلس الأمن في ١٥ منه أن الحالة في فلسطين تهدد السلام العام . وأن على المحاربين في فلسطين من الطرفين إيقاف القتال في ١٨ منه ، وفعلًا أوقف العرب ربح الحرب على شرط تحديد زمن الهدنة وعودة المهاجرين العرب إلى بلادهم ، ووقف الهجرة الصهيونية ، ومع هذا ظل اليهود يخرقون الهدنة فيجتمع مجلس الأمن بدون جدوى في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، ثم يهزأ اليهود به ، وبالمبادئ الإنسانية ، وبفكرة الوساطة التي اخترعتها هيئة الأمم متحدين إياها - بقتل وسيطها السكوت فونت برنادوت ، فتعين هيئة الأمم بدلا عنه « مستر رالف بونش » ، ويستمر اليهود في عدوانهم المضاعف بعد أن كمل استعدادهم الحربي منذ الهدنة الأولى التي استأن من العرب فيها عهودهم وعهود هيئة الأمم ، وكانت نتيجة الاستئمان أن باغت اليهود جميع الجيوش العربية في كل مكان مباغيات مفاجئة ، وبخاصة في منطقة النقب التي كان الوسيط الأول جعلها من حق العرب بينما الوسيط الثاني جعلها من حق اليهود مخافة أن يلحق بسابقه ، فاجتمع مجلس الأمن وقرر وقف الحرب والانسحاب إلى المواقع الأصلية لكل - قبل يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ على أن ينفذ هذا قبل يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، فنفذ العرب . أما اليهود فهم اليهود ، لا يعرفون لأحد حقا ، ولا غيرهم عهدا . ولقد كانت للجيوش المصرية خاصة وفي مقدمتها جيش الفالوجا مواقف تذكر فتشكر .

وإذا كان العرب يصممون على أن تكون فلسطين دولة موحدة .

فما ذلك إلا لأن هذا هو الوضع الطبيعي لها . ومن أجل ذلك اجتمع
ذوو الرأي في فلسطين . وأعلنوا استقلالها ، وقيام حكومة عربية بها
مقرها دغزة ، مؤقتا ، وقد وضع لها دستور - ينص على أن تؤلف
حكومة ، لها مجلس وطني - ومجلس أعلى - ومجلس وزراء ، على أن
تسمى هذه الحكومة - حكومة عموم فلسطين - وقد اختير لها رئيسا
صاحب السعادة د أحمد حلمي باشا ، . . وقيام هذه الحكومة دايمل
على حسن نوايا الدول العربية . وبرهان على أن جيوشها ماتحركات
لمغنم أو تمليك . بل لتردها إلى أهلها ولترد إليها مشرديها - خاصة
وحكومة عموم فلسطين هذه فلسطينية لحما ودما . فكل ممثليها
فلسطينيون . وقد اعترفت بها الجامعة العربية والدول الأعضاء فيها
عدا شرق الأردن .

* * *

ولقد ظهر السر في امتناع شرق الأردن عن الاعتراف بهذه
الحكومة . وهذا السر هو - أغراء الملك عبد الله وأعوانه اللاجئين
البؤساء من عرب فلسطين الذين نزلوا بشرق الأردن بمبايعته ملكا
على الأجزاء العربية بفلسطين . فقبلوا بدافع البؤس والحاجة . وعقدوا
مؤتمرهم برأسه الشيخ محمد الجمبري ، ووافق جلالته . وحكومته .
ومجلس نوابه على ذلك . وهي لعبة من الانجليز كي تجعل من شرق
الأردن دمسار حجا ، في جسم البلاد العربية وفي وحدتها . واتصل
إلى غاياتها من مكان استراتيجي ظلت تعمل له منذ اقتطعت شرق

الأردن من جسم فلسطين ثم جعلته أمانة . ثم بماسكة . ثم مضافا اليه
قسم فلسطين العربية .

وما كان من البر بالعروبة أن يخرج شرق الأردن على الأجماع ،
ولا أن يقف هو والعراق من قبل - ذلك الموقف السلبي - حينما دهم العدو ان
الصهيوني الغادر جيوشنا المصرية . حتى اتهم الخبراء الحرييون
النزيهون القيادة العربية العامة بأنها تعمدت هذا الوقوف . لتتخذ
من قضية فلسطين سلعة في السوق السوداء غير مهمة بما يترتب على
ذلك من قيام عصاة في صميم الدنيا العربية تسمى « إسرائيل » ، ولا
عابئة بفشل جيوشنا ومن ورائها ثمانون مليوناً من العرب وأربعمائة
مليوناً من المسلمين ، ولا بما آل اليه أمر فلسطين المقدسة التي
شدت أهلها العرب بغير حق ، وجردوا من مالهم بغير رحمة ،
وقضى في مصيرهم بغير عدل ، وظلوا يساقون بيد علوج إسرائيل ،
وطرائد صهيون ، حتى بلغوا ثلاثة أرباع المليون فأكثر ، من كرام
العرب . يعيشون بين المضارب والملاحي . عيش الحرمان ، وقد
ارتسمت على وجوههم أظلم مناظر البؤس وأروع مآسي الحياة . فلا
حول ولا قوة إلا بالله .

أن كارثة فلسطين تذكرنا بكارثة الأندلس يوم انقسم ملوكها
العرب بعضهم على بعض ، ويوم أن أسال الأخ دم أخيه . وتحالف
مع عدو بلاده ، حتى كانت النتيجة أن سلم آخر ملوكهم « أبو عبد الله ،

مفاتيح د قصر الحمراء ، إلى د فرديناند ، صاغرا ذليلا - ثم دخل على أمه
يبكى : د فقالت له - : أباك ملكا مضاعا لم تدافع عنه دفاع الرجال ،
فهام على وجهه إلى بلاد المغرب تشيعه سخرية الزمن ، ولعنة
الاجيال ... غير أن د غرناطة ، كانت آخر معاقل العروبة في د بلاد
الاندلس ، وآخر خط من خطوط دفاعها ، أما د فلسطين ، فهي خط
الدفاع الأول الذي من ورائه خطوط وخطوط ، والذي على كل خط
منها اليوم أسود وأبطال ، فاغسلوا د أيها العرب ، بماء الكرامة ،
رجس اليهود ، واستعيدوا بفضبتكم المضرية ، ونخوتكم العربية . هذا
الخط الذي سقط ، واحوا ليل الصهيونية الأسود بانبلاج فجركم
الوضى الأبيض من جديد ، بالرأى السديد . والعمل المجيد ،

دولة إسرائيل المزعومة تقوم على المذهبية والنفوذ الأجنبي المتضاد



دولة ولا دولة

حينما طوى الانجليز راية الانتداب على فلسطين ، وأقلموا عنها .
أعلن الصهيونيون قيام دولة إسرائيل ، وشكلوا وزارتها ، ودعوا
الدول للاعتراف بها . ولم تمض على هذا الاعلان ساعات حتى
اعترفت بها أمريكا تملقا من رئيس جمهوريتها « ترومان » للصهيونيين

ذوى المال والنفوذ في بلاده . وعلى أثر اعتراف أمريكا اعترفت
روسيا ، لاملها أن يقوم نظام الدولة الوليدة طبق مبادئ الشيوعية
إن لم يكن اليوم فغدا ، خاصة وقد بذرت بذورها في نفوس كثير من
المهاجرين إليها ، ونفذت فيها فعلا نظام المستعمرات الذي تتبعه في
بلادها ، ونظام الدعايات أيضا حتى صار فريق من الصهيونيين يعنونون
نشراتهم طبق نشراتها ، ويمثل عناوينها « كبايدى القومية » و « بدعة
الديانات » . ثم تلاهاتين الدولتين ذيوها من الدول .

وإذا كان اليهود منذ ألفى سنة يحملون بدولة لهم ، فهل يتحقق هذا
الحلم بقيام « دولة إسرائيل » ، ١١١٠ - أم أن هذه الدولة هي دولة
للسراب الخادع ، لا دولة الحقيقة والكيان المنسجم ؟ وأنهما ما
تجمعت بفلسطين إلا لبيديهما الشر في آخر الأيام كما تقول التوراة
على لسان موسى :

« أنا عارف تمردكم . ورقابكم الصلبة . إنكم بعد ،
« موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى ،
« أوصيتكم . وبصيتكم الشر في آخر الأيام ١١١١ ،

ولعل هذا هو ما دعا المؤرخ المصرى الكبير الشيخ عبد الوهاب
النجار لأن يقرر في دروسه أن اليهود ستقوم لهم دولة . ولكن لا
كقيام الدول على دعائم طبيعية ، ومبادئ دواية . لأن دولتهم
ستكون « دولة المسيح الدجال » ، ولأنها سيصيدها الشر في آخر الأيام
بنص التوراة السابق ... ولعل المراد بآخر الأيام (قرب قيام

الساعة) .. لما أثر من أن المهدي المنتظر سيظهر إذ ذاك بين الركن والمقام
لجلاء الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما على يد هذا الدجال وأتباعه
من اليهود وسواهم ... وأن المهدي يمدّه الله بثلاثة آلاف من
الملائكة - وأنه سيسير إلى « غار بأنطاكية » فيستخرج « تابوت
السكينة » ثم يتجه إلى جبل بالشام فيستخرج « أسفار التوراة » منه
ليحاج بها اليهود . ثم يسير إلى مسجد المعظم .. والنصر بين يديه
فيحاصره الدجال وأعوانه من اليهود ... فأذا بالمؤذن يؤذن لصلاة
العصر . فينزل عيسى بن مريم عليه السلام ، بالمنارة البيضاء ، متسكنا
على ملائكين ، ملك عن يمينه ، وملك عن يساره . والناس مستعدون
لصلاة العصر ، وتقام الصلاة فيتمنحى المهدي لعيسى . فيقول عيسى :
تقدم ، قد أقيمت الصلاة لك ، ويصلي عيسى خلفه ، وبعد الصلاة
تكون الملحمة العظمى « مأدبة الله » بمرج عكا ، وقيل « بباب اللد »
فيقتل الدجال ، ويفر اليهود ، ويقبض الله المهدي بيده الإلهية . طاهرا
مطهرا . أما عيسى فيظل في الأرض أربعين يوما يتبع فيها اليهود حتى
يبيدهم ... والله أعلم .

هكذا أثر في كتب متعددة ، تاريخية ودينية ، وليس في استطاعتنا
إلا أن نعدّها من الأمور الغيبية التي تؤمن بما يثبت منها بالأدلة التي
لا يتطرق إليها الشك ، ومع هذا فنحن نؤمن كل الإيمان بأن دولة
إسرائيل هذه تعيد اليوم تمثيل دور الشر من جديد على الأرض بعد
أن مثله قديما - بقتل الأنبياء كما يحكى الله ذلك عنهم بقوله .

« لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا اليهم ،
« رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ،
« فربما كذبوا وفريقا يقتلون .

- وبمناصبة الملوك العداء كما يخبرنا الله بقوله :

« وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ،
« ملكا ، قالوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن ،
« أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ .

- ولقد أتعبوا موسى عليه السلام . فبعد أن نجاهم الله من الغرق
وجاوزوا البحر طلبوا آلهة جديدة . كما يذكر القرآن الكريم في قوله :

« وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم ،
« يعكفون على أصنام لهم . قالوا : يا موسى اجعل ،
« لنا إلهة كالهم آلهة ، قال : أنكم قوم تجهلون ... ،
« ولما حركهم لقتال الجبارين قالوا له كما حكى الله عنهم :
« إذهب أنت وربك فقاتلا . إنا ههنا قاعدون ،

- ولما عاد إليهم وجدهم يعبدون العجل غضب وأخذ بلحية هرون
أخيه ورأسه كما حكى الله جل شأنه إذ يقول :

« ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال ،
« بنسما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم ،
« وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه . ،
« قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ،
« فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ،

ولم يكن هؤلاء اليهود قبيل موسى خيرا منهم في عهده ، فهم لما
 أحضرهم يوسف الصديق إلى مصر ، وأقطعهم د بلبيس ، تدلوا وأنرفوا
 وتعالوا على المصريين ، ولما تاهوا في الأرض أربعين سنة في آخر
 عهده فنى فيها من فنى ، ظن الناس أن الجيل الجديد يكون أحسن
 من الجيل الذى قبله ، فأذا الطينة من الطينة . والعجينة من العجينة . . .
 ولما جاء الاسلام كانوا الأعداء الألداء لمحمد عليه الصلاة والسلام ،
 فكم نقضوا الميثاق ! ! وكم آذوه وأصحابه ! ! حتى هم رئيس بنى
 النضير ، حي بن أخطب ، أن يلقى الصخرة على رأسه الشريف
 خيانة وغدرا ، لولا حفظ الله ووقايته . . ولقد كانوا الطابور الخامس
 ، فى المدينة ، أبان غزوة الأحزاب ، ، وأخيرا كانت وفاته صلى
 الله عليه وسلم بسبب أكلة دست له فيها السم يهودية ، بدليل قوله
 - فى مرضه الذى مات فيه - : ما زالت تعاودنى أكلة خيبر ، . . .
 وكانت نتيجة هذا كله أن أصابهم الله بالخسف والعذاب ، وأن تجعل
 الدول لهم معازل . كما تصنع وزارات الصحة بالمرضى بالطاعون
 والكوليرا وغيرهما من الأمراض المعدية الفتاكة وصدق الله إذ
 يقول فيهم - :

، واذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم ،

، القيامة من يسومهم سوء العذاب أن ربك ،

، اسريع العقاب . وأنه لغفور رحيم .

ذلك . لأنهم جرثومة شر ، مبدؤهم ، الغاية تبرر الوسطة فى

الدين ، والسياسة ، والأخلاق ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وهو مبدأ

خطر . وشرعة تنافى القانون الأخلاقي العام ، فالصهيونية أبا كانت .
وفي أى مكان وجدت ، هى للهدم لا للبناء ، وللفساد لا للأصلاح ،
وللشر لا للخير ، ثم هى أنذار بحرب ، وتذير خراب .
واقدر أدرك عقلاء الأمم شرود هذا العنصر من حظيرة الإنسانية .
ووقفوا على مركب النقص فى طبيعته وخلقه وأعماله . ذلك النقص
الذى يحفزه دائما إلى التمرد ، فلم يمنعوه من أن تكون له دولة لحسب
بل أبوا عليه الاستقرار ببلادهم ، وما هى ذى انجلترا نفسها ، وهى
التي سببت للعالم عامة ، وللعرب خاصة . هذا القلق والتعب من جراء
اليهود أبت عليهم الاستقرار ببلادها فى القرن الثامن عشر حينما عرضوا
على اللورد د جود ولفين ، وزير المملكة آن ، أن يشتروا مدينة
د برنتفورد ، ليقيموا فيها ، ويعطوا الحقوق التى لتجار المملكة فأبى ...
وروسيا أيضا أبت عليهم البقاء بل اضطهدتهم وشردتهم لما وقفت
على تواياهم السيئة نحوها . وذلك فى القرن الميلادى الماضى ... ولما
تأكدت المانيا أن سبب هزيمتها فى الحرب العظمى سنة ١٩١٨ م
اليهود سجنتم منهم من سجنتم ، وشردت من شردت ، وقتلت من
قتلت ، غير نادمة على ما فعلت - ومع ذلك فقد كانوا فى النهاية سبب
هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، ومنذ ١٦٠ عاما تنبأ الرئيس
د فرانكلين ، رئيس الولايات المتحدة بخطر اليهود على أمريكا ، كما
حدث منهم من قبل فى البرتغال واسبانيا ، وفى آخر أيامه أعاد تحذير
قومه ، وطلب أن ينص فى الدستور على منعهم من دخول الولايات

المتحدة ، وقد قال الكاتب الانجليزى الأشهر ، جورج مارتنز ،
في كتابه « لعنة عزرا » :

« إن اليهود ما سكنوا بلدا من البلاد ، ولا تجمعوا ،
« فيه ، إلا وأثاروا حولهم شعورا عداثيا ،
« وأحدثوا روحا إرهابيا في الداخل والخارج ،
« فضلا عن التوحش والأجرام والتمطش للدماء ،

وقد استمروا على مدى التاريخ وهم يعاملون من الشعوب كما يعامل
الانجاس والمنبوذون . ولعل العرب كانوا هم الامة الوحيدة التي عطف
عليهم وبخاصة في القرون الوسطى ، فقد كان القوط في اسبانيا
يضطهدونهم ويتخذونهم هبيدا ، فقام موسى بن نصير وآواهم وخلصهم
من ظلم « لزريق » ملك القوط .

ومن العجيب أن يدور الفلك هذه الدورة العجيبة ، فإذا هذه
الدول المعادية لهم تناصرهم مناصرة غير مشروعة ، لأنها لم تكن على حق
ولا قانون ، بل على حساب العرب ، وحساب العدالة ، وحساب
الانسانية المعذبة . . . إن لليهود مشكلة لم يكن للعرب يد فيها ، وإنما
لليهود أنفسهم اليد الاولى بما في طباعهم ، والدول الغرب ثانيا بما فعله
بعضهم من تشييتهم ، والوضع الصحيح لحل مشكلتهم كان - بأن تفتح
الدول التي تعطف عليهم أبوابها لهم - لا إنشاء دولة صهيونية في
فلسطين ، كما قال الدكتور « هنرى فان دوين » رئيس اتحاد كليات

اللاهوت ورئيس مجلس إدارة جامعة برتستون بأمريكا ، أو إسكانهم
« برارى الاريزونا ، و « تكساس ، بأمريكا ففيها متسع لهم ، وعدم
الاضرار بالعرب . كما يقول العلامة « فيليب جنى ، المدرس « بجامعة
برتستون ، أيضا .

إن حلم « إعادة الوطن القومى لليهود ، هو فى الواقع حلم مزعج
للإنسانية كلها من حيث لا تشعر ، خاصة ولهذا الوطن حدود عجيبة
رسمت فى قرارات المجلس الصهيونى الأهلى الذى عقد سنة ١٨٩٨
بباريس وهذا نصها :

« الوطن القومى لليهود يشتمل على مصر السفلى ،
ويعتمد شرقا إلى الجهات المتاخمة وينتهى بخط تمتد ،
« بين عكا والبحر الميت بحيث يسيطر على الملاحة ،
« فى البحرين - الأبيض والأحمر - وعلى التجارة ،
« فى الشرق كله ويتصل بالبلاد الأوربية اتصال ،
« سيطرة وساطان بحيث تكون كلها أشبه بولايات ،
« لنا كما تكون أمريكا فريسة ، فنحن شعب الله ،
« المختار بل نحن البشر فى الصورة التى تركزت ،
« فى مخيلة الله ... »

ولقد ردده (ابن غوريون) بعد ذلك فى خطبة له حيث يقول :

« ليست فلسطين هى الهدف النهائى ولا المحطة ،
« الأخيرة . فنحن نريد إعادة ملك سليمان . أى ،
« جميع الشرق الأدنى ثم ما وراء حدود هذا الشرق ،

« نحن نريد الامتداد على قنال السويس ، ذلك ،
« الامتداد الذى كان السبب فى الهزيمة أبان الحرب ،
« العظمى ، كما نريد الامتداد إلى العلمين ، ذلك ،
« الامتداد الذى كان السبب فى الهزيمة أبان الحرب ،
« العالمية الثانية . لقد كانت لدينا رسالة للعالم ولكن ،
« تغلبت علينا صروف الدهر فلم نكمل أداء هذه ،
« الرسالة . وبمرور الوقت ستزداد الملايين منا ،
« عظمة فوق عظمة . وحينئذ ستنتم الرسالة . »

ومنطق الصهيونيين هذا هو عينه منطق النازيين ، فالصهيونيون يريدون إعادة ملك سليمان ، أى الشرق الأدنى وما يتصل به ، والنازيون كانوا يريدون إعادة ملك شارلمان ، أى أوروبا كلها لحكمهم برئاسة هتلر وقد تبخر هذا الحلم النازى وسيتمعه ذلك الحلم الصهيونى إن شاء الله ... على أن تلك المؤامرات الجهنمية التى دبرت بلبيل ، والتى يقصد منها الشر كل الشر لا بفلسطين وحدها ، ولا بالعرب وحدهم بل بالشرق جميعه ستتردى الانسانية بسببها فى حرب عالمية ثالثة . وعلى الباغى تدور الدوائر .

يا عجباً كل العجب ١١٠٠ تتآمر أمريكا وروسيا مع الصهيونيين على فلسطين العربية ، فتتفق هاتان الدولتان العظيمتان فى مسألة فلسطين وحدها ، مع أنهما يختلفان كل الاختلاف فى كل يوم بل فى كل ساعة

على كل جزئية من جزئيات الحياة ، فما الذى دعاها إلى أن يمد كل
منهما يده فى يد عدوه فى هذه البقعة من بقاع العالم ؟ والجواب . هو
المصالح المادية هى التى جمعت بينهما فى ميدان واحد ، وقد برع
الصهيونيون فى تقسيم أنفسهم إلى معسكرين لأغراء كل من الدولتين
بمعاونتهم . أما المعسكر الأول فهو (الهاجاناة) وقد جعلوا من أنفسهم
أتباعا للولايات المتحدة ، رجعوا من هناك الأموال ، وأسموا
أنفسهم بالمعتدلين ، وظفروا بمعونة الرئيس (ترومان) بغير حساب . . .
وأن ما عرف من الوعود التى بذلوها للبيت الأبيض إذا قامت دولتهم
يتلخص فيما يلى :- أولا : جعل حيفا قاعدة أمريكية بحرية لما لموقعها
هى وما حولها من الأهمية الاستراتيجية . ثانيا : أن تكون فلسطين
كلها فى حالة الحرب معسكرا للولايات المتحدة . وقد اطمأن سياسة
الولايات المتحدة إلى هذه الوعود التى بذلها لهم (وايزمان) و (ابن
غوريون) و (موسى شرتوك) وتأكيدها قامت حكومتهم الموهومة
فى (تل أبيب) وسندها (فرق الهاجاناة) - أما المعسكر الثانى فهو
(عصابات الأرجون وشيترن) وقد جعلتا من أنفسهما أتباعا لروسيا
ينفذون مبادئها ، ويشيدون بمذهبها الشيوعى ، ويطبقونه فى مناطق
نفوذهما بفلسطين ، وهما وإن كانتا أقلية إلا أنها أقلية منظمة متطرفة .
أثبتت لروسيا جدارتها بثقتها فيها لما تقوم به من العمل والتحدى
السافر للانجليز فى الماضى والحاضر ، وبخاصة تحدى رئيسها (مناحم
بايخين) كل فرد . وكل رأى . فلقد تحدى برنادوت فى جعل القدس
عربية أو محايدة أو تحت إشراف الوسيط . كما تحدى سواه . ولذا

فروسيا تعلق أيلولة الحكم إليه في ظروف قد لا تكون بعيدة ، وبذا يبيع أرض فلسطين للجيش الأحمر كما تفعل كل دولة تعتنق الشيوعية... ثم تريد كلتا الدولتين من وراء هذا كله الحصول على الثروات المعدنية والكيميائية الضخمة في هذا الأقليم وما يحيط به ، وكذلك الحصول على البترول المتوفر في الشرق وهو عصب الحياة في الحرب ، خاصة وحالة البترول سواء أكانت في روسيا أو في أمريكا تنذر بالخطر انضوب معينته في كثير من آباره فيهما .

ومن جمهور هذه القضايا التي تقدمت يتقرر أن دولة إسرائيل المزعومة ليست بدولة حقيقية وإنما هي امتداد لنفوذ متضادين ، نفوذ شيوعي تنزعه روسيا . ونفوذ رأسمالي تنزعه أمريكا . وسيتبين بالفشل ، وتنتهي مأساة تلك العصاة التي تطلق على نفسها اسم دولة ، كما انتهت مآساتها قديما ، فدعاة صهيون . أو مملكة إسرائيل كما يحدث التاريخ لم يعيشوا قط في سلام مع أحد ، ولم يعيشوا قط في سلام مع أنفسهم ... خرجوا من جزيرة العرب ، ثم خرجوا من العراق ، ثم خرجوا من أرض كنعان ، ثم خرجوا من أرض مصر ، ثم خرجوا من أرض فلسطين متفرقين . تنازعوا على خلافة كاهنهم الأول (صموئيل) فلم يقبلوا أحدا من أبنائه ، فلما أرغموه على مبايعة (شاول الأول) عادوا يتمردون على شاول هذا الذي اختاروه ووقع النزاع بين هذا الملك وبين داود عليه السلام وانتهى أمر داود إلى الجنون من تعاقب المشكلات عليه ، ثم مات منتحرا في الميدان

بعد أن هزمه الفلسطينيون ، ولم يمت داود حتى انقسمت مملكته إلى
شطرين ، ثم شقتوا . . فاذا كانت هاتان الدولتان (روسيا وأمريكا)
ومن ورائهما هيئة الأمم وانجلترا بدساتسها تتعاون كلها على إيجاد
دولة إسرائيل وحمايتها . ثم رجعنا معشر العرب بالحجارة معتبرة
سلاح الحق الذي في يدينا سلاحاً مفلولاً ، فليس لنا إلا الثبات في
موقفنا ، والعمل المتواصل ، للاحتفاظ بكياننا ، وعقد معاهدة دفاعية
عسكرية بيننا وبين أمم الشرق وبلاد الإسلام حيث يبدو أن المسألة
الشرقية بعثت من جديد . . وقد وعدنا الله ووعدته الحق ألا تغلب
ما دمننا معصمين بحبله ، عاملين بتعاليمه ، واسم من أمة كانت أعظم
بطشاً من تلك الأمم ؟ فأخذها الله أخذ عزيز مقتدر . . أين (سدوم)
وأين (عمورة) لقد كانتا (كتل أيب) منعة وقوة . فدمرها الله كما
تنص التوراة بنار من عنده . وحول مكانهما إلى بحر من الكبريت
هو (البحر الميت) .

ومع هذا فيجب أن نكون معشر العرب قوماً واقعيين . آخذين
بالأسباب . غير مغالطين في الحقائق . فإسرائيل قد صارت دولة
باعتراف الأغلبية في هيئة الأمم . وقد صار لها كيان على الأرض
القديمة العزيزة المقتطعة من قلب العالم العربي تحت سمع الأمم المتحدة
وبصرها . بل وبمعونتها . وليس من الحكمة أن نغمض أعيننا عن
الواقع منخدعين . كما يجب أن نعلم تمام العلم أن أعصاب أفرادها تزخر
بشحنة فائقة من العصبية الدينية والدموية وأن ثورة المادية والروحية

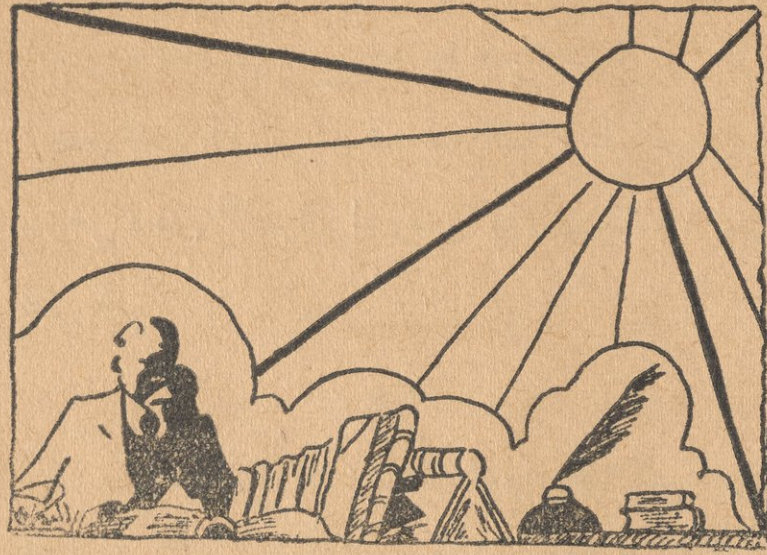
تشبكت اشتباكا أصيلا تجعلهم يصرون على أنهم أحق أهل الأرض بميراث الأرض وملئها... كما يجب أن نعلم أنهم جادون في هجرة اليهود من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين، وأنهم في سبيل هذا يريدون أن ينفذوا ما انتهت إليه «بروتوكولاتهم» التي كشفها في روسيا الأستاذ نيولوس، سنة ١٩٠٥ م والتي قام على أساسها الانقلاب الروسي الشيوعي الذي كان لليهود نصيب كبير فيه؛ تلك البروتوكولات التي تنص على مبادئ خطيرة، منها أن حكم العالم إنما ينتزع بالعنف، وأن الحق يكمن في القوة وليس للضعيف حق، وأن الحرية السياسية طعم لجذب العامة، وأن السلطة للمال وليست لأشياء غيره، وأن الحرية والمساواة والأخاء كلمات لا يؤمنون بها وإنما يلقونها ليجلبوا بها إلى صفوفهم فرقا كاملة عن طريق وكلائهم المندسين في كل شعب... ثم يجب أن نعلم أنهم مع وضعهم الشاذ، وكيانهم الدولي المتناقض قد أعدوا عدتهم من أمد طويل، باحثين جيولوجية أراضي فلسطين، واقفين على ما يمكنه من ثروات في - النقب - بل وفي طور سيناء خلسة - كما أنهم نفذوا مشروع روتنبرج، لتوليد الكهرباء بفلسطين كلها -، وكما أنهم يعملون على محو الجهل من أفرادهم محو تاما وعلى التماسك الاجتماعي بين طبقاتهم، وعلى أن يكونوا دائما على قدم الاستعداد - الاستعداد الاقتصادي - والسياسي والحربي - فلنكن نحن العرب نموذجاً أسمى حتى نفسد عليهم خططهم ضدنا، فهم بعد أن بلغوا ما منوا أنفسهم به من الهيمنة على فلسطين يعملون على الإيقاع بيننا ثم على تحريك

أصبحهم في أسواقنا ليفسدوا اقتصادها ، وفي سياستنا ليقلبوا
أوضاعها ، وفي أخلاقنا ليعملوا على انحلالها ، . . . أنهم المشكلة
التي عجز التاريخ عن حلها ، ولا أمان لنا أزاء هذا إلا بيقظة عملية
دائمة ، بيقظة إيجابية تقوم على التضامن والتكافل والأصلاح ، بقوة
المجتمع من قوة أفراده علما ، وتشريعا ، وحكما واقتصادا ، واجتماعا ،
وهذا ما سنفصله فيما يلي من هذه البحوث .



الروح العلمى

وكيف يقود النهضة فى البلاد العربية . . . ؟



شمس المعرفة

أن سلطان العلم اليوم يفوق سلطانه فى أى عصر مضى ، والأمم العربية أحوج ما تكون إلى مناهج التربية القويمة ، وأسلحة العلم الحديثة ، خاصة والقلق الاجتماعى الذى لا تكاد تخلو منه أمة من أمم العروبة يحتاج إلى علاج عاجل ، وإن يستطيع شئ يبعث فيه الاستقرار والثقة . والنهوض إلا تربية تكون الشخصية ، وعلم يسخر المادة ، وإذا كانت وظيفة التربية هى كما يقول أفلاطون - : « الأعداد الصالح للطلاب ، وتضافرهم على العمل الجدى لصالحهم وصلاح بلادهم ،

... فإن نحو الأمية أول مراتب هذا الأعداد ، إذ لا حياة كريمة
لأمة من الأمم ، وبخاصة في هذا العصر إلا بمحوها ، وقد طبق
الإسلام هذه النظرية منذ عهده الأول ، فقد جعل من جملة فداء أسرى
بدر أن يعلم العارف بالقراءة والكتابة عشرة من المسلمين ، ومن
العجيب أن جميع دساتير الأمم العربية ينص على وجوب تعليم الشعب ،
ومع ذلك فالأمية تطفئ في جميع أقطارها طغيانا ذريعا ، وأهل ذلك
يرجع إلى عدم اتباع السبيل المستقيمة في القضاء عليها ، ومن أجل
ذلك فسنعرض لبعض الأمم التي اعترضتها هذه المشكلة . وما عملت
من الوسائل لحلها .

ففي الصين . حمل « جيمى بن » حملة شعواء على الأمية حتى محاها
في ٢٧ مليوناً من الأنفس في أربع سنوات ، وذلك بوساطة دعايات
منظمة . ونشر صور كاريكاتورية ملفتة للأنظار ، وتسيير المواكب
الجزابة ، وحشر كل المتعلمين للعمل في ميدانها . . . وفي « إنجلترا » ،
كانت الشرطة تقبض على الأميين وتدخلهم المدارس قهرا ، وكان على
كل ناظر مدرسة أن يقبل أى طالب . بحيث لا يباح له العذر في عدم
وجود أما كن . بل عليه إيجاد المسكن بأى وسيلة . وبكل وسيلة ،
ويدخل في ذلك الأعمى والأصم والأبكم وضعيف العقل . فلكل
الحق في التعليم وعلى الدولة تعليم كل في المكان الذى يناسبه .
وبالوسيلة التى تتفق مع تعليمه . . . وفي ألمانيا صدر « قانون بروسيا » ،

١٨٥٤ م ، وعم التعليم العام كل طبقات الشعب فانمحت الامية محو تاما ، واحتفل بتعليم آخر اى فيها قبيل الحرب العالمية الثانية . وكان النظام ان تقوم الشرطة فى كل جمـة من جهاتها باحصاء الاميين والاميات ، وبعد ذلك توزعهم على مدارس مكافحة الامية . اما الاطفال فاذا ما بلغوا السن المدرسية اُحصوا ووزعوا على المدارس التى تقرب من مساكنهم ، ولشدة الشرطة فى تنفيذ القانون لا يفر احد منهم ، وقد بلغت العناية بذلك ان يستقبل الشرطى الطفل عند وصول الاسرة الى المنزل الجديد ، او البلدة الجديدة ، فيأخذه بنفسه ويذهب به الى المدرسة ، وليس للنظر عذر فى عدم قبوله . . وفى فرنسا اخذ فى تنفيذ قانون التعليم العام ، منذ سنة ١٨٨٢ م . على أنه لم يبلغ من الدقة فى التنفيذ مثل ما فى ألمانيا وانجلترا . . وفى أمريكا وضع قانون التعليم العام على أساس إقليمي ، فيفرض على كل ساكن فى القرية ضريبة سواء ا كان له اولاد أم لم يكن ، وذلك ليتعلم بالجمان كل اولاد القرية ، وبهذا صارت كل قرية مسؤولة عن تعليم أبنائها بوساطة مجلس يسمى (مجلس المدرسة) ، وكذلك يفرض على كل منطقة أن تنشئ مدرسة ريفية كبيرة يتعاون أهالى المنطقة فى إقامتها وإدارتها ، ومع هذا فعلى الثمان والأربعين ولاية التى تتكون منها الولايات المتحدة أن تتضامن كل مع الأخرى فى المسئولية والمعاونة حتى تؤدى للجهاير فى أنحاء الولايات حقها كاملا فى العلم ورفع المستوى الثقافى فيها جميعا ، واشترك المثقفون وذوو الرأى من جانبهم الشخصى فى هذا الميدان

فتألفت الآلاف من الجمعيات التي تضم الآباء والمعلمين لهذه الغاية ،
وجعلت هدفها حسن إعداد المعلم ، وتحبيب الطالب في الاستمرار
في التعليم ، وتيسير سبله له فضلا عن المساهمات الأخرى ... وفي
تركيا قامت النهضة الحديثة فيها على يد (مصطفى كمال) ... ولقد سن
لحو الأمية قانونا توسع فيه بضم نشر الثقافة الشعبية اليه - وهذا القانون
يحتم على كل قرية أن تبني مدرسة كبيرة تتسع لمن يسرى عليهم قانون
التعليم العام ، ثم تعلم فيها الكتابة والقراءة ، وتلقى المحاضرات الثقافية
العامية في (قاعة محاضراتها المعدة لذلك) وتعرض المناظر الثقافية في
السينما الثقافية التي أقيمت بها ، كما تعقد حفلات القران - وهذه المدرسة
يطلق عليها (بيت الشعب) ولم يقف عند هذا الحد ، بل حتم على
جميع الجنود في الجيش أن يتعلموا ، وبهذا ارتفعت نسبة المتعلمين
في الدولة من ٢٥ ٪ إلى ٧٠ ٪ في سنوات معدودة ، ... ولقد كان
يقوم بنفسه بتعليم الأميين ، حيث كان ينصب سبورته في المكان الذي
نصب فيه مدفعه لمحاربة الأنجليز (بمنطقة جناح قلعة) - وكان يقوم
المثقفون بتعليم الأميين في كل مكان ، في البيت والمسجد والطريق ،
ودور اللهو ، حتى نهضت البلاد نهضة مرموقة بالاحترام من جميع أهم
العالم ... وعلى ضوء ما تقدم يمكن بلادنا العربية التي ترتفع فيها نسبة
الأمية ارتفاعا مزريا ، حيث هي تتراوح بين ٩٥ ٪ و ٩٠ ٪
و ٨٥ ٪ و ٨٠ ٪ وما هو أقل من ذلك بنسب متقاربة . أن تؤلف
لجانا لحو الأمية ونشر الثقافة الشعبية موحدة في تنظيمها ومنهجها

بحيث تخطو إلى غايتها بخطى سريعة ، مراعية القضاء عليها أولا فأولا بالنسبة للأطفال الذين هم في سن الالتزام وذلك بأحياء كتابات الأمانة ، وبالدروس المسائية حتى لا يرحفوا على محيط الأمية وتظل المكافحة طريقا لا تنتهي .

أما مناهج التعليم في جميع مراحله من أولى وابتدائي وثانوي وفي وعالي وديني . فيجب أن تكون ذات سياسة ثابتة ، فلا تظل مدارسهم ومعاهده كما هي الآن حقولا للتجارب ، فيها اللغو والأسفاف . والأرهاق والأعنان . حتى أنها لم تربط ثقافة الناشئين بحياة المجتمع وحياة العصر . ففقد التعليم حيويته ، وصار جسما من غير روح ، كل بضاعته أن يفتح المتعلمين باب الخيال على مصراعيه فيبتغنون بمجدهم العربي ولا يعملون على إحيائه ، ويفخرون بماضيهم الذهبي ولا تكسب أيديهم ربما واحدا لأنفسهم في سوق الفخر . يجب أن توضع المناهج على أساس الروح الاستقلالية الكاملة ، وأن تجمع بين الدراسة النظرية والفنية ، وأن تهدف إلى المثل الأعلى في السلوك ، وأن تسير اختلاف الاستعدادات والميول والمواهب حتى يستخرج إكسبير النبوغ الدفين في نفوس الشبيبة ، كما حدث في إنجلترا لما تراخت حركة النبوغ فيها في القرن الماضي فيها ... ويزاد على هذا في التعليم الجامعي أن تهدف مناهجه إلى إحراز جميع سجايا العقل والخلق مع القدرة على القيام بمختلف المهن في ميدان الاجتماع والخدمة العامة ، وضمان حرية المناقشة والرأي كما يقول (برتراند رسل) و (جون استيوارث مل)

الذي يعتبر كتابه عن الحرية أهم ما يقرأ في الجامعات الانجليزية ، كما تهدف إلى القضاء على شكلية التعليم ، وعلى الحد من المعرفة .

* * *

وكما يجب أن يهدف التعليم الجامعي أيا كان نوعه إلى ما تقدم فكذلك يجب أن يهدف التعليم الديني سواء أكان في الأزهر بمصر ، أو في جامع النجف الأشرف بالعراق ، أو الجامع الأموي بسوريا ، أو جامع القرويين بمراكش ، أو المقاصد الإسلامية ببيروت ، أو جامع الزيتونة بتونس أو غيرها من المعاهد الدينية في جميع البلاد الإسلامية إلى الغاية التي قصدها الإسلام من الدين والمعرفة ، فلا يظل الطلاب واقفين عند مداخل العلوم ، ولا مكتفين بدراسة الحواشي ، ولا مضيعين وقتهم في النقاش اللفظي ، ولا مقفلة عقولهم ، مغمضين عيونهم عن استكشافات العلم الحديث ومخترعاته ، بل عليهم أن يخطروا إلى الامام وأن يساهموا في كل نواحي الحياة حتى يكونوا قوة روحية دافعة توجد التوازن أزاء التقدم المادي ، مجددة في خطواتها عمل النبوة ، مستأنفة بجهادها مجد الإسلام . بألسنة مرهفة مصقولة . لها بيان الأدب . ودقة العلم . وأحاطة الفلسفة . وألهام الشعر . وبصيرة الحكمة . وقدرة السياسة غير متبعية حرية الفكر ، ولا متوانية عن تيسير مصادر الدين لغير العرب بالترجمة والنشر والدعاية ، ولا متباطئة في الملاممة بين مبادئ الإسلام السامية وبين مقتضيات الحضارة من تقدم ، مع القيام بأحياء تعاليم أهل التجلي والكشف الذين يتزعمهم الغزالي ، وتعاليم أهل الوحدة الذين يتزعمهم محي الدين بن العربي

حتى يكون الدين بهرا يروى ظمأ القلوب وشمعا تهدي ضلال العقول .

* * *

وأما المعلم فهو الروح والقلب والحيوية ، وإن تغنى النظام والمناهج شيئا إذا ظلت أغلبية المعلمين مأجورين لأمريين ، فالمربي الحقيقي هو من اجتذب من خير العناصر لمهنة التعليم ، ففهم روح التربية الحديثة وأهدافها فهما صحيحا . وآمن بها إيمانا ، فاندفع بقوة إيمانه إلى الجهاد في سبيل تخريج جيل ذى شخصية موجبة ، مع تجديد معلوماته ، وتصفية روحه ، حتى ينطبق عليه قول أفلاطون - :

« التعليم أفضل شئ يملكه الرجال ،

ولقد كان أعداد المعلم هذا الأعداد الكامل هو السبب في نهضة ألمانيا وانتصارها في حرب السبعين ، حتى قال بسمرك السياسي المشهور : « لقد انتصرنا على عدونا بمعلم المدرسة ، ولما أنشئت مدرستا « أيتون . وهارو ، بإنجلترا ، ورأى الناس أثر المدرسة في طلبتها يتمثل في حسن النظام ، وقوة الأخلاص ، وصدق الحكم ، وكمال الأعداد والاستعداد ، ثم وجدوا أن ذلك كله راجع إلى أن مدرسيها قد اختيروا من ذوى الكفاءة والشخصية والخلق أقبلوا عليهما أقبالا لا مثيل له . . . وفي الجامعات المرموقة بالتقدير والاحترام لا يكفي في الأستاذ المرشح للتدريس بها أن يكون معلما تنحدر منه المعرفة إلى الطلبة فحسب ، بل يجب أن تنسج المعارف على يديه . وأن يكشف عن أشياء لم تكن معروفة . وأن يلقى ضوءا على مجاهل ظلت خفية . وأن يكرن له علم أو فن يصح أن يقول فيه :

ولا يهمنى ما يقول الثقات ، مبرهننا على ما يقول بالبرهان الذي يقوى
على كل نقد . ويرد كل اعتراض . وأن يكون ذا مقدرة على غرس
قوة المعرفة لا المعرفة فحسب في نفوس طلابه حتى يكون لهم نظام
عقلي ممتاز ، وروح علمية صافية . تؤثر في أخلاقهم واتجاههم وشعورهم ،
وما يؤسف له أن بلادنا العربية أصيبت بنكسة حادة في المعلم ذاته ،
وقد شاهدت ذلك ولمسته من صلاتي ودراساتي المتعددة ، فالمعلمون
إلا النذر القليل تدور رحاهم على فراخ ، يسبون « مهنة التدريس » ،
ويختصمون على اللحاف ، ويقفون على ساحل بحر المعرفة ، ويحشدون
أعضائهم بكميات وافرة من الأخبلة والأوهام فيتعبون أنفسهم وسواهم
ولا ينتجون ، ثم هم في النهاية لا يتوانون عن الفرار من ميدان الجندية
في التربية والتعليم إلى امتطاء كراسي عجاف في أحد الدواوين ، بينما
المثقفون في الأمم الحية يعتزون بهذه المهنة ، ويجتهدون أنفسهم لها
تجنيدا يدعو إلى الأجلال ، كما في ألمانيا اليوم بعد نكبتها في
الحرب الأخيرة ، فالمدرسون فيها يتقدمون لا نقاذ الجيل الناشئ .
ناكرين ذواتهم وأشخاصهم كي تعود ألمانيا غدا عظيمة كما كانت
بالأمس عظيمة .

وزبدة القول في مسائل التربية والتعليم أنه يجب أن نعد لها
المعلم الكفء الصالح ، وأن نوحّد مناهجها في جميع بلادنا العربية
مع تعديل طفيف يتماشى مع اختلاف البيئة ، وأن نعمل على تبادل
الطلاب والاساتذة والبعثات بينها ، وأن نعتمد الشهادات والدرجات

العلمية فيها مع توحيد مستواها ، وأن نلائم بين ما عندها وبين ما عند
 الأمم التي سبقتها في المدنية حتى نختصر الطريق ، كما يجب أن نقيم
 مؤتمرات تعليمية عامة تقناوب في جميع أقطارها ، بحيث يكون لتلك
 المؤتمرات بحوث علمية مهمتها تلقي كل جديد ثم درسه وتطبيقه وكذا
 يجب أن نكون لجانا تربوية تقوم دراساتها على أساس مصلحة التربية
 بعلم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس التعليمي ، وعلم
 النفس التجريبي ، وعلم النفس الإجرائي حتى نضع نظمها على أسس
 علمية سليمة ، يستمد منها الاتجاه الديمقراطي الحديث في التربية
 والتعليم مقوماته ، فلا يكون فيها طريق سلطانية كالتي كانت في عهد
 أفليدس ، حين أتاه ابن أحمد الملوك في غطرسه راغبا العلم فقال
 له : ليس في التعليم طريق سلطانية يا مولاي . وحتى لا تظل روحه
 استعبادية لأخراج كتبة دواوين لحسب ، ولا يظل رؤساؤه ومفتشوه
 ذوى غطرسه وعنجمية... وفي النهاية يجب أن تتسع ميزانيات التعليم فيها
 كلها اتساعا يؤدي المهام الملقاة على عاتقها . . . ويكفي دليلا على وجوب
 هذا الاتساع أن انجلترا لما ساءت مآلاتها بعد الحرب العظمى طالب
 وزير مآلاتها إذ ذاك بأنقاص اعتمادات متنوعة . ومنها اعتمادات
 التعليم . فقبل بمعارضة شديدة . وكان الجواب : اقتصدوا ، في كل
 شيء . ومن كل شيء . إلا من اعتمادات التعليم . . .

وأما الثقافة بما تحوى من أدب وفن - فيجب أن تقوم على أساس
 ثقافتنا العربية القديمة ، كما تقوم الثقافة اليوم في بلاد الغرب على أساس

الثقافتين ، الأغريقية واللاتينية ، القديمتين ، خاصة وثقافتنا القديمة لم
تزل فيها من عناصر القوة والحيوية ما يوجهنا إلى المجد . وما يوحى
ألينا بكرامتنا . لأنها عصاراة الفلسفة والفن والمثل العليا ، ومن الحتم
علينا مع ذلك أن نمزجها بأداب الغرب وفنونه وعلومه حتى ندرك
حقائقها وحتى تكون بيدنا آلاته فنسخرها كما سخرها هو ، ولا نظل
عالة على مدنيته واختراعاته واستكشافاته ، وركنا هذه الثقافة
لغة وبيان .

* * *

أما اللغة ، فهي كائن حي . يخضع لقانون التطور . ككل الكائنات
الحية ، وينفعل لاختلاف الزمن والبيئة والأقاليم ، فيصح ويمرض ،
ويرتفع ويهبط . وهكذا متطورا مع الحياة ، ولغتنا العربية لم تند عن هذا
القانون ، وما كانت الفترات التي أصيبت فيها بالوهن والضعف من
فطرتها وإنما بفعل الظروف التي أحاطت بها ، فهي ذات حيوية
قوية . ومرونة اتسعت لكل جديد وغريب . بدليل أنها إبان عصرها
الذهبي في الأندلس وبغداد وسمعت مختلف الحضارات . ومتنوع
اللغات . فصبغتها كلها بصبغتها ، وأفسحت صدرها لها ، ونحن اليوم حملة
لواء الضاد ، وورثة راية الفصحى في جميع بلاد العروبة ، مهمتنا أن
نرد إليها اعتبارها . بأن نفرع إليها كلما جدد الاجتماع الانساني للحياة
مطالب . أو نثرت المدنية الراحة الجديدة من مخترعاتها وآرائها . فذشتق
من أصولها الدوال والأوصاف ، ونشذب ونهذب الدخيل الأجنبي ،
ونصنع الأثواب فيها على قياس ما يراد منها . حاذفين مالا فائدة منه

من ألفاظها - إذ لا معنى لأن نجد الكلمة مثل « الداهية » مثلا نحو سبعة
وأربعين اسما ثم نبحت عن كلمة عربية لدواء فلا نجد ، ونظل ندرس
نتاج مدينة الغرب الحاضرة بلغة غير لغتنا في مدارسنا وجامعاتنا . 11 .
ومهمتنا كذلك أن نجعلها محور التخاطب والتفاهم في بيوتنا ومجتمعاتنا ،
وأن نضرب على أيدي العابثين بها من المفتونين بمدينة الغرب الذين
يفتحون للسلطان الأجنبية صدورهم فتغزو بيوتهم وبيئاتهم وتفتنهم
عن قوميتهم وتقاليدهم السامية مغمضين عيونهم عن عبر التاريخ . وسوء
عاقبة الذين افتتنوا عن لغتهم وقوميتهم وتقاليدهم - ومثلهم في ذلك
أولئك الملحدون في اللغة ؛ الذين يدعون إلى شيء نكرو . وهو هجر
اللغة العربية وأحلال العامية أو اللاتينية محلها ، وما دروا أنهم بهذا
يقطعون مدد القوة الذي يدفعنا إلى المجد والحياة ، وكان عليهم أن يعتبروا
بما أصاب هذه الدعوة من الفشل حين قام بها قديما « عبد الله الجرجاني » ،
و « عبد الكريم النمشلي » ، ثم القاضي الإنجليزي « ويلبور » سنة ١٩٠٣
في كتابه « اللغة العربية المحكية بمصر » بالنسبة للعامية ، ورجوع
كتاب تركيا إلى الدعوة للغة العربية وعلى رأسهم الكاتب « حاجي
خليفة » في كتابه « كشف الظنون » ، ناعيا على اللاتينية واستعمالها ،
لأنها معقدة بحكم طبيعتها . . . ولقد فات الداعين إلى العامية أنها
لهجات مختلفة . فعامية مصر غير عامية العراق ؛ وعامية العراق غير
عامية سوريا ولبنان ، وعامية اليمن وشرق الأردن غير عامية الجميع وهكذا .
أما العربية فوحدة في جميع بلاد الناطقين بها . وفرق ما بين لغة موحدة
ولغة متعددة وما وجدت الاختلافات بين الأمم إلا بسبب وجود

التعدد في اللغات كما يقول ديبكارت ، ومن أجل تحقيق فكرة
الوحدة بين الأمم يسعى المفكرون لايجاد وسائل لذلك حتى أن
الطبيب البولوني ، لودفيج زامنهوف ، وضع لغة الاسبرانتو ، وعمل
على جعلها عالمية . فهل بعد ذلك يسوغ لكائن من كان أن يقول لنا :
اهجروا العربية ، واستعملوا اللاتينية أو العامية ... ؟ لقد كان من الخير
أن يقول : قربوا اللغة العربية ويسروها وسهلوها واجعلوها موسيقية
جذابة فهي غنية ثرية ، وهي بطبيعتها وفظرتها نواتيك بما تريدون من
تبسيط حتى يديرها الخاصة والعامة معا في أفواههم مخاطبا وثقيفا ...
فأنتا نعتز بها لأن الاعتزاز باللغة توهم الاعتزاز بالوطن ، وما الفترة
التي يشمخ فيها الشعب بأنفه إلا الفترة التي تشمخ فيها لغته بأنفها ،
خاصة وهي اللغة التي نزل بها القرآن . وافتن بها من تذوقها من غير
أبناء جلدتها ، حتى أن د جون فون ، الكاتب الذائع الصيت كتب
قصة خيالية مؤداها أن سائحين اخترقوا باطن الأرض فلما توسطوها
نقشوا بالعربية كتابة تدل على سياحتهم أيمانا منهم بأنها لغة الخلود .

وأما الركن الثاني وهو البيان العربي الذي يصح أن نتوسع في
مدلوله حتى يشمل كل أنواع النثر والنظم فقد قامى ضروب المحن
بعد أفول نجم العروبة في دولة المشرق (ببغداد) ودولة المغرب
(بالاندلس) حيث سجن في كتب معقدة عنيت بهلملة أثواب الفصاحة
والبلاغة ، وأركان التشبيه ، وأحوال الاستعارة ، كما عنيت بتعميق
بحور الشعر ، ونقطيع تفاعيله ، وتحرير موازينه ، فتلمى الكتاب

والشعراء بهذا كله عن الأخذ بقضايا العلم الصحيح ، حتى تصلبت
أفكارهم ، وفجرت آدابهم ، فاتهموا القدر ، وفرشوا ملائمتهم للدمر
يسبونه حيناً ويشكونه حيناً ، وكانت النتيجة أن فقد هذا البيان شعراً
حكيماً ، ونثراً ساحراً ، وأدباً خالداً ، ولا زالت هذه الآثار في بياننا
إلى اليوم ، ومن الواجب ونحن في مستهل النهضة في جميع أقطارنا العربية
أن نعمل على تكوين الكتاب والشاعر تكويناً صحيحاً ، وذلك بأن
نكون لسانهما تكويناً بلاغياً ، ونكون فكرهما تكويناً علمياً ،
أما تكوين اللسان فيبأن يكون متلائم الأسلوب ، فالأسلوب هو
البلاغة كما يقول (موسان) - وبالجاذبة التي هي في العربية روح وطبع
- وما جاء منها الأطالة إلا بعد اتصالها (بالآرية) - ثم بالدراسة المستفيضة
لأمهات كتب الأدب والبلاغة ومعاجم اللغة ... وأما تكوين الفكر
تكويناً علمياً فببث القوة فيه ، قوة الفن والخلق والإيجاد حتى
لا يرخى له العنان فيسير وراء خواطر سائبة ، بل يكون له
ضابط ، وعليه حارس ، وحوله ينايع يستقي منها ، فأن خطب صاحبه
من المشاعر ، وإن كتب عن الحقيقة الفنية كما يعنى المهندس بالحقيقة
الجغرافية ، لأنه تزود لكل موقف من كل نبع - من علم النفس ، ومن
أصول العمران ، ومن تطور الحياة الفكرية في العالم ، ومن فلسفة
التاريخ ، ومن ثورات الإصلاح ، ومن الإحصاءات العامة للسكان وطرق
الاستغلال الاقتصادي ، وبهذا كله يتمكن من دقة الموازين ، ومنطقية
الاقبسة في جميع ما يعالج من أدب وفن وقصة وسياسة ، نثراً كان ذلك
أو نظماً ، فقيادة القلم في بلاد الغرب اليوم يسلحونه (بالعلم) . فولز ،

مثلا يسير في كتاباته مذهب داروين في النشوء والارتقاء ، ووبرناردو شو ، يعالج الأدب على ضوء نظريات علم الاجتماع . ومذاهب الحياة الحديثة في استكشافاتها واختراعاتها ونظراتها ، ثم هم مع هذا باعثو الصيحة الأولى في أوطانهم للثورة أو للدفاع أو للإصلاح وهم الناقضون في آدابهم الروح الملائمة لظروف هذه الأوطان ، كما صنع (فواتير) عند ما رأى جو الحرية في فرانسسا ساما خائفا ، حيث أخذ يندد بها ويطلق عليها اسم (فرانسسا المريضة) بينما يمدح جارتها ويطلق عليها اسم (إنجلترا الصحيحة) حتى أشعل نار الثورة الفرنسية ، وكما صنع دتين ، عند ما رأى انهزام فرانسسا في حرب السبعين ، حيث أخذ يعيب على أدبها . أدب العاطفة المانع الفاتر ، ويدعو إلى أدب القوة المرتكز على العقل والإرادة والعمل حتى وقفت على قدميها ، وكما صنع كانب روسيا الأعظم ، توأستوى ، حيث رأى الفلاحين يموتون جوعا بينما تنخم وتترف طبقة النبلاء والقيصرة فناصر بقله البارع ساكني الأكواخ من الزراع والفلاحين ضد استبداد القياصرة ونرفهم حتى مهد للثورة والنهضة معا . . .

واذا كانت الصحافة تحتل اليوم مكان الصدارة ، لأنها كما يقولون (صاحبة الجلالة) فيجب ألا تتخذ في معيتها من هم أشبه بالحروف المكسورة في الطبع ، بمن إذا مارأوا ثغرة اختلاف حولوها إلى فوهة بركان ، أو إذا ما أبصروا دمية محطمة من دمي الفضيلة والآداب نفخوا فيها روح الشر . كما يجب أن تكون البرلمان الحر ، واللسان الناطق بما تجيش به صدور

المفكرين والمصلحين من الآراء والمقترحات والانتقادات والتوجيهات،
وأن تكون سند الحاكم والمحكوم في تنوير الأفق وتدعيم الحق ..
وكما تحتل الصحافة تلك المكانة الممتازة - كذلك الإذاعة والمسرح
والسينما لها ما يلي تلك المكانة ، فيجب أن تظهر من رجس الفن ، وأن
يعد رجالها أعدادا فنيا كاملا . وأن نحمل للناس المثل العليا فتعبط
عليهم بها لتجذبهم إلى العلو . فهكذا قامت الرسالات ، وأن نحمل
فيما تذيب وتمثل وتعرض كل أنواع المعرفة ، فالعصر عصر المام ..
وفضلا عما تقدم فإنه يجب حتى تستكمل الثقافة كل المهام الملقاة
على عاتقها أن نحبي المخطوطات القديمة . ونطبع ذات القيمة العملية
منها . بعد درسها وخصها على يد لجان خاصة . وأن نعقد من حين إلى
حين مؤتمرات ثقافية عامة تتألف من العلماء المتخصصين في التربية
والتعليم والأدب والفن . وأن نكون مكتبا دائما للتعاون الثقافي يقوم
بجمع الإحصاءات والمعلومات العامة . وأن نحمل الملكية الأدبية
والفنية في جميع بلادنا العربية ، وأن نعمل على ربط الوثائق بين جميع
دول العروبة وبين الهيئة العالمية للأمم المتحدة في الثقافة والتربية
والتعليم . بحيث تشترك البلاد العربية في مؤتمرات الهيئة الثقافية كلها
عقدت . وقد أحسنت الجامعة العربية صنعا إذ انتدبت من يمثلها في
المؤسسة الثقافية العالمية من حين إلى حين ،

وبهذا كله مجتمعا يمكن تكوين حضارتنا العربية الجديدة وأقامتها
على الأسس التي قامت عليها حضارتنا القديمة . تلك الحضارة التي قامت

على أسس كونت شخصيتنا الفردية القوية . تلك الشخصية التي استمدت كيانها من أدراك واسع يقوم على العلم والمعرفة ، ومن وجدان سام يقوم على الخلق والفضيلة ، ومن أرادة فعالة تقوم على الثقة بالنفس والاعتداد بها . ومن تلك الشخصية الفردية تألفت شخصية مجتمعا ، وتكونت دولتنا . وقامت حضارتنا . . . ولقد اتصلنا أثناء هذه الحضارة بحضارات الأمم آخذين معطين . فنشأ عن الأخذ والعطاء مزاج خاص هو الحضارة العربية المسيطرة على العالم أبان القرون الوسطى . حيث كان الفكر العربي هو الموجه للإنسانية عامة . وكان من الأمم التي خضعت له ما اندمج في العروبة لغة وجنسا كشمال أفريقية وما جاورها . وما اندمج فكرا وطابعا ولكنه ظل محتفظا بجنسيته ولغته كأيران وأفغانستان وما جاورهما . وكذلك الأتراك السلجوقيون والأتراك العثمانيون . على أن هذا الاندماج مهما اختلفت أشكاله كان يستمد روحه الأصلحية من هذا الطابع الذي طبع بمقومات الحضارة العربية . فشيدت كل أمة من تلك الأمم بعدها . وصارت استقلاها .

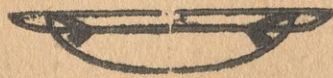
ونحن اليوم معشر الأمم العربية نريد نهضة ترفع مستوانا . وتجعلنا نتعامل مع أمم الأرض معاملة الند للند . وإن يكون ذلك ألا بأن نتساوى معها في درجات الفكر والثقافة ، لأن النظام الوجودي الآلي يأبى أن تتساوى في الحقوق الإنسانية جماعات متفاوتة الأقدار كما لا يمكن أن تتساوى في المناعة الصحية أجساد متفاوتة القابليات

وايست الوسيلة إلى نهضتنا الصحيحة وحضارتنا المنشودة . ونحو بلنا
حقوقنا . وأحلانا مكانة منيعة بين الأمم بالدعوى العريضة . ولا
بالمنطق الدبلوماسي . ولكن بالعمل المجدى وتحليلتنا بالصفات
والخصائص التي تلتصم والنظام الآلى للوجود عن طريق نهوضنا
الحسى والمعنوى بمختلف وسائل الاصلاح فى البيئة والمدرسة والحياة
العامة حتى لا نتخبط فى حكم أنفسنا . ولا نقصر عن استغلال ثروتنا
ولا نستعصى على التطور . وبذا نبلغ مكانتنا من الحياة الصحيحة .
وتتكافأ مع سوانا من الأمم .

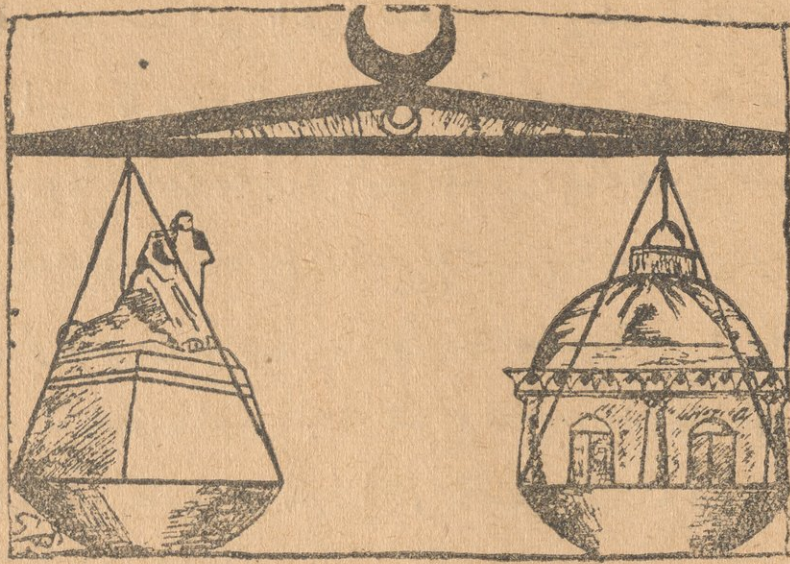
لقد سلك الغرب اليوم فى وسائل التربية والتعليم ، وفى اصطفا
زبد المعرفة ، مسالك أوصلته إلى حضارته المشاهدة . فأما عن التربية
والتعليم . فانه هندس أدمغة النشء هندسة منظمة ، فلم يتركها مهوشة
خلاياها ، تتضارب فيها الخواطر وتعدد . بل عمل على أن تمتاز كل
خلية منها بصفات خاصة ، ثم تتصل كل واحدة بأختها اتصالا
يجعلها وحدة لا تقبل التجزئة ، تفتج إنتاجا حكيمًا منظمًا . وبذا اعتدل
ميزان مظاهر الفكر الثلاث - الإدراك والوجدان والإرادة - وذلك
بعد أن غذى كلا منها بما يناسبه . حيث أغدق المعرفة على الإدراك ،
والتهديب على الوجدان ، والقوة على الإرادة . مسترشدا فى كل هذا
بالأصول التربوية والنفسية والاجتماعية ، ومتمشيا مع مذهب
، البراجمترزم ، أو فلسفة الذرائع ، وهو مذهب يقوم على غلبة
المعارف الانسانية وتزويد النشء بما ثبت نفعه ، وتأكدت قيمته .

حتى لا يضيق وقت هذا النشء المتنبئ الخوض معركة الحياة سدى ،
وبذلك يقفز طلاب العلم إلى الأمام قفزات سريعة ، فتخطو بفضلهم
الحضارة أيضا إلى الأمام بدون توقف . تلك الحضارة التي أصبح الطابع
الذي تميزت به هو الطابع العلمى المتحكم فى مظاهر الطبيعة وتسخيرها
فى السلم والحرب .

وبالبلاد العربية فى حاجة إلى رجال يتميزون بهذا الطابع ويساهمون
فى توجيه بلادهم ويشتركون فى الميدان العلمى للإنسانية ، بل ويكونون
مبرزين فى مؤتمرات العلماء ، عاملين بوحى ميراثنا الروحى على التعاون
الفكرى الصحيح تعاوننا لا يقوم على الجبروت الذى تنفث سمومه
تلك المدنية المادية . بل على التهدة ، وأنما روح الصداقة والحب ،
عاملين على تحقيق معنى الزمالة الانسانية . . ومتى يتكون هذا النظام
العقلى الموحد فى جميع أممنا العربية . أولا - ثم امتدت فروعه إلى غيرنا
من الأمم . ثانيا ، انتقلت معانى الثقافة على يدنا من مرتبة تلك الحياة
التي يعيش فيها الغرب ببطنه ومعدته إلى المرتبة التي يعيش فيها بعقله
وقلبه وروحه ، وما ذلك على الله بيعيد . . .



روح التشريع والحكم الصالحين وأثرهما في اطراد نهضتنا العربية ..



ميزان العدل

العروبة رابطة قوية بين بذيها ، لها وجهة واحدة ، وغاية واحدة
وقديما كان يسير بلادها قانون واحد ، ونظام للحكم واحد . وكان هذا
القانون مرنا في تشريعه ، مرنا في تطبيقه . حيث كان يتمشى مع البيئة
والأحداث ، وسنن التطور . وهي إلى اليوم كما كانت بالأمس . فاضبها
واحد ، وآمالها واحدة ، ونظام الحكم فيها متقاربة . وفي ذلك ما

يساعد على توحيد التشريع في جميع أقطارها . واقد قرر مؤتمر القانون الدولي المنعقد بالاسكندرية في مايو سنة ١٩٤٦ م وجوب التعاون الوثيق بين أمم العروبة في مسائل التشريع . كما عنيت الجامعة العربية بهذا التعاون . فألفت لجنة برئاسة سعادة عبدالرزاق باشا السنهوري للعمل على تحقيق هذه الغاية لما له من سابق الصلات بالبلاد العربية وتشريعها حيث قضى نحو ستة أشهر بالعراق سنة ١٩٤٢ م وضع أثناءها قانون العراق المدني . كما وضع قانون سوريا المدني أيضا . ونظم جامعتها السورية . وبما لا شك فيه أن في تأليف لجنة من رجال القانون المشهود لهم بالسكفاءة وسعة الاطلاع في جميع بلاد العروبة تعمل على توحيد ما يمكن توحيد من قوانينها . وأدخال الدراسات المقارنة في برامجها الجامعية . ما يحقق ما نصبو إليه من تشريع صالح موحد يسير بنهضةنا قدما إلى الامام . فقد بما كان لدولتنا العربية العظيمة تشريع عام موحد ، حيث أديرت شئونها على سعتها وتباعد أقطارها بقوانين واحدة ، روعي فيها المرونة والاحكام والتمشى مع البيئة والاحداث وسنن التطور .

أما الحكم فقد قام على أساسين . الحق والعدل . وهما دعامة استقراره وقوته وسبيل اتجاهه بالشعب إلى الخير والاصلاح والنهوض . وكان بحكم الطبيعة العربية مبناه الصراحة والحرية ، والمظهر الغالب عليه اليوم في البلاد العربية هو الملكية - فالجمهورية في نظر علماء الاجتماع وثبة من وثبات الشعوب ، تعقب الحيرة السائدة في أفراد الشعب . وطبيعتها القلقة وعدم الاستقرار . وفي جمهوريات فرانسا

المتعاقبة الحجة والبرهان على صدق ما نقول . وفي أمريكا تكون
المسئولية الوزارية لا لمجلس النواب كما في مصر وإنجلترا مثلاً ، بل
لرئيس الجمهورية . أما الدكتاتورية فهي شر ما بعده شر ، حيث يمسك
زمام الحكم بيد حديدية ، أنسان مسحور التفكير ، مستبد في رأيه
وعمله . ومآلها الضياع والفناء . وفي دكتاتورية كل من النازية
والفاشية عبرة لمن يعتبر ويقرر علماء الاجتماع أن الملكية
مزاجها الاستقرار والاستمرار . وكلاهما وظيفة الطبيعة ، ولذلك
اتخذتها أقدم الأمم الديمقراطية كإنجلترا ، شعارها . حتى أن الجمهورية
لما قضت على الملكية فيها على يد « أوليفر كرومويل » ، في القرن السادس
عشر الميلادي لم تثبت إلا أحد عشر عاماً ثم عادت الملكية وظلت
إلى اليوم ،

وفي البلاد العربية يتمثل الحكم في نظامين فقط ، ملكي
وجمهوري ، أما الأخير ففي « سوريا ولبنان » ، وأما الأول ففي « مصر
والبحر » ، والعراق ، وشرق الأردن واليمن ، وهذا الوضع هو الذي
اختاره كل شعب من شعوب العروبة لنفسه ، وهو الوضع السليم له .
لأنه مستمد من تقاليد الشعب وروحه وثقافته ، وهو أقرب من حدود
الكمال بالنسبة له ولما كانت السلطة العليا التي تتمثل في الملك أو
الرئيس في ميسس الحاجة إلى الهيبة والسلطان ، والحاشية والحشم
وضعت في ميزانيات الدول مخصصات الملوك ، أو الجيب الملكي ، كما
في إنجلترا . ووضعت مرافق الدولة وخزائنها تحت تصرف رئيس

الجمهورية ، كما في الولايات المتحدة . وكذلك أعطى كل من الملك أو الرئيس السلطة التنفيذية في يده حتى لا تطفئ السلطات الثلاث بعضها على بعض ، فجعل مجلس الوزراء في الولايات المتحدة مثلاً خاضعاً للرئيس الجمهورية . كما جعل حق إقالة الوزارة في يد الملك في الحكومات الملكية .

• • •

وسواء أكان الحكم جمهورياً ، أو ملكياً . فهو حكم ديمقراطي يقوم على الانتخاب والاختيار . ويتمثل في مجلس النواب والشيوخ ، حيث تكون الوزارة مسئولة ، وحيث لا ينفذ تشريع إلا بعد عرضه عليهما وأقراره ، وحيث الحرية مكفولة لكل عضو فيهما ، كما هي مكفولة من قبل لكل ناخب ، ولا يمكن مع الأسف لم تتم تلك النيابة الممثلة في كلا المجلسين في جميع البلاد العربية . . . ومن الواجب سرعة أتمام ذلك . . . كما أن من الواجب تنقية هذه النيابة من الأدران التي شابت الانتخاب والنمثيل البرلماني والحكم في المجالس التي قامت - وذلك باتخاذها لعبة رياضية أو هواية فنية ، أو فرصة للرفع والاستغلال . . . ولقد سرت هذه الروح مع الأسف من الشيوخ إلى الشبان بالعدوى ، فصارت قيم الأخلاق التي اصطلاح عليها فضلاء الجيل السابق ، وقررتها أصول الاجتماع ، مزلة الأركان ، وهذه الحال السيئة وقعت فيها بعض الأمم قبلنا كفرنسا مثلاً ، وكذلك قدماء اليونان منذ خمسة عشر قرناً ، فكانت سبباً في سخرية بعض الفلاسفة بالديمقراطية ، كالفيلسوف استوفان اليوناني ، كما كانت سبباً في تشاؤم بعض الباحثين اليوم ، كما ميل فاجيه الفرنسي ، إذ يقول

و الواقع أن الديمقراطية بطبيعتها ترفع مقام العاجزين وتعليهم إلى المناصب التي غيرهم أكفأ منهم بها ،... ولهذا يجب أن يلاحظ في الانتخاب والنيابة الكفاءة ، وإن يتحقق انتخاب الكفاء ونيابته إلا برفع المستوى الثقافي في جميع بلاد العروبة ، وعندئذ تكون لغة الحكم لغة إحساس الشعب وحاجياته ، وتكون كلمة الديمقراطية غير قاصرة على حكومة الدولة ، بل تكون روحاً متغلغلة في كل نواحي الحياة العامة ، ويكون الخلاف الحزبي خلافاً سليماً في مبناه ومعناه ، وأهدافه وأغراضه ..

إن الخلاف في المذاهب الحزبية قائم على المزاج الشخصي أكثر من قيامه على اختلاف الرأي ، نخرج الاختلاف في هذا المزاج بالخلافات الحزبية من دائرة الرأي والخلاف عليه إلى الخصومة الشخصية ، ولو أننا حصرنا خلافتنا فيما يختلف عليه الرأي بالفعل . لافئنا أنفسنا متفقين جميعاً على أكثر من تسعين في المائة من مسائلنا العامة ، مختلفين على عشرة في المائة منها ، ولا استطعنا أن نتعاون جميعاً متضامنين على تحقيق هذه التسعين في المائة من المسائل تعاوناً يسرع بالبلاد إلى التقدم الذي نرجوه كلنا لها من أعماق قلوبنا في أيمان وأخلاص ..

أما الأداة الحكومية فهي السلطة التنفيذية المكونة من وزارات الدولة وموظفيها ، ومن ألزم ما يجب نحوها - تنظيمها وأصلاحها -

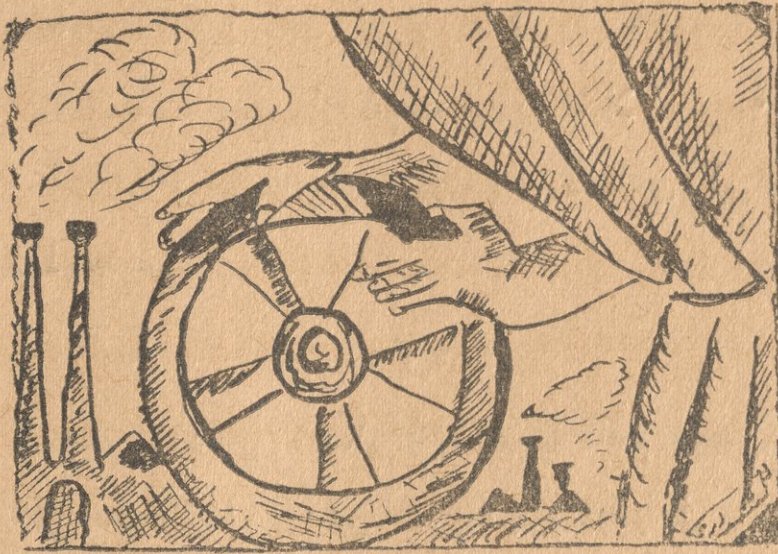
لأنها الرابان الذى يقود سفينة الوطن . وبها ترعى حقوق أفراد الشعب وتنفيذ مصالحهم ، وما الوظائف إلا مرافق عامة دعت إليها ضرورة الاجتماع والعمران ، وهى واجبة على الأفراد القادرين عليها لحفظ نظام الدولة ورعاية مصالح الأمة على أساس العدل والإنصاف ، ومع الأسف فالشائع ألا ينال الضعيف من لا وساطة له حقه فى عدل أو أنصاف ، حتى جأر الناس بالشكوى ، وحتى أساءوا الظن بالعدالة . فكان ما كان من الاضطراب والفوضى ... ولقد أدركت الأمم الراقية قيمة هذه الأداة فهيأتها نهضة كاملة ، وأعدتها أعدادا حسنا ، ووفتها حقا من الأجر والجزاء ، وعملت على تنفيذ خطة السرعة والإنجاز ، وأشعرت رجالها أن عملهم فى الواقع ما هو إلا خدمة عامة ، فيجب أن يكون للجانب الإنسانى فيه نصيب واف . . فهذه أمربكا مثلا ألقت لجنة الاقتصاد والإنتاج ، سنة ١٩١٢ م وجعلت مهمتها تنظيم الأعمال الحكومية ، واقتراح أحسن الوسائل لسرعة إنجازها على وجه يتفق والروح الاقتصادية العامة ، وحاكتها ، إنجلترا ، فألفت لجنة الأداة الحكومية ، سنة ١٩١٨ م لمثل هذه المهمة . وفى البلاد العربية على اختلاف درجاتها وتفاوت عناية القوة المهيمنة فيها على الشؤون العامة . نجد أن لجانا تؤلف للتنفيذ والعمل على إصلاح هذه الأداة ، ولكن بدون جدوى . ثم زاد الطين بلة هذا التطور فى نظم الحكم الذى به تتعاقب الأحزاب على كراسى الوزارات . وهذا التطور فى النظام النيابى هو مبعث الحياة والحركة . والصورة العملية لسلطة الشعب وإرادته ومركز الاتصال بين التشريع والتنفيذ بعد أن كانت

للأبهة والسلطان في العهود الماضية . . . ولكن والأسفاه قد آل بتلك الكرامى إلى مركزية تلك الأحزاب السياسية المتنافسة . . . أقصد مكتب أى وزير فى أى بلد من بلادنا العربية ، تجد مكتب هذا الوزير مضيضة للزوار المناصرين له ، ومركز وساطة لقضاء المصالح والشفاعات ، ومحكمة تفتيش لتلقى فى الباستيل من يحكم عليه بالقتل والرفق من الموظفين المناصرين لغير الحزب الحاكم وقد عالجت هذه الحال أمم ذات عرق فى الديمقراطية فجعلت الوزير ممثلا لسياسة الدولة العامة . أما النواحي الإدارية فى وزارته فن اختصاص وكيل الوزارة الدائم المنخصص .

فى جميع البلاد العربية يشكو أفراد الشعب حالهم ويلقون انتبعة على عائق حكوماتهم ، وفى الحق أن التبعة يشترك فيها كل من الراعى والرعية . ، لقد كان شعور سلفنا الصالح أن على الراعى أن يعمل وعلى الرعية أن تشاطره العمل ، فكان المجد وكانت النهضة ، ذلك لأن الرعية كانت تعترف بما لها من حق وما عليها من واجب فتقوم به ما خير قيام ، وكانت تعز بحقوقها وكرامتها ، وكان الراعى ساهرا بقضا على مصلحتها . فلما نسيت الرعية هذه القواعد انزلت الحكومات إلى ما انزلت اليه الرعية . فاضطربت المعانى السامية التى لاقوة للشعوب بدونها . واضطرب معنى العدل فى النفوس . ونسيت الحكمة القديمة الخالدة ، العدل أساس الملك ،

الروح الاقتصادي

وكيف تكون أوضاعه في البلاد العربية . . . ؟



يد الاقتصاد تدبر عجلة التاريخ

* * *

المسألة الاقتصادية لها الشأن الاول في الامر على اختلاف أنواعها - في السلم والحرب - وهي العماد القومي للحضارة في تنفيذ مخرعاتها . وتتابع استكشافاتها ، وكلما كان لها على مسرح التاريخ مواقف مثلت الدور الاول فيها . . . ومنذ وضعت نظرية « التفسير الاقتصادي للتاريخ » ، تطور التعليل التاريخي للأحداث عالمية كانت أو غير عالمية ، فبعد أن كانت العلة هي : الحق ، أو الواجب ، أو العلم . أو الشجاعة . صارت العلة هي الاقتصاد وحده أو الاقتصاد علة أخرى ، وبخاصة الحضارات

طلوعا وأفولا بدليل أن مدى الحضارة المصرية قديما كان مرتبطا بميزانيتها التي بلغت ٣١٦ مليوناً من الجنيهات ثم مال ميزان الميزانية قال معه ميزان الحضارة .

وقديما كان يراد بالمسألة الاقتصادية المال ، وكان مقصورا إذ ذاك على المعدن الرنان . من الدرهم والدينار ، إذ كان هذا المعدن هو الوسيلة لقضاء المآرب ، وبلوغ المطالب ، كما كان السبب في إذكاء الفن وأطفاها ، وأدارة ربح الحروب وأيقافها حتى انحصر الفكر في هذا المال ، وصار مطمع الطامعين بوصف كونه المهيمن على ماعده ، ثم ظهر للفكر أن هذا الحصر خطأ ، وأنه هو وغللات الأرض سواء ، فصار يقصد بها - المال وغللات الأرض .

ثم اتسعت الدائرة فصار يقصد بالمسألة الاقتصادية . إنتاج الأرض من زراعة ومعادن ، وكذا إنتاج الصناعة ، كما صار يقصد بها الصلة بين رأس المال والعمل ، وبين صاحب العمل والعمال وقد بدأ هذا التطور يتجلى في العالم رويدا رويدا منذ النهضة الأوروبية الحديثة . وتطور الصناعة تطورا عظيما كان نتيجته أن أثرى أصحاب رؤوس الأموال ثراء أجمأ بينما العمال الذين من يدهم يجبي هذا الثراء لا يجدون الكفاف ، وقد نفخت النهضة روحها في الصناعة فنمت وتقدمت كما نفخت روحها في عقول هؤلاء العمال فتنبهت ، وصارت الحال أنه كلما زاد المال في رؤوس الأموال ألوف ، زاد العلم في رؤوس العمال ألوف الألوف

عوامل اقتصادية . فالاقتصاد يقف وراء كل مشكلة ، وهو الذى يسير
فى الواقع كلا من الجسم السياسى والصناعى والاجتماعى ، حتى قال
المستر هنرى مورجنتاو ، أحد وزراء مالية الولايات المتحدة سابقا
« يجب عقد مؤتمر اقتصادى عالمى بوضع ميثاقا ،
« للاقتصاد ، لا تقل أهميته الحيوية عن الميثاق ،
« السياسى ، إذ أنه لن يتحقق سلم عالمى ثابت إلا ،
« بوضع نظام اقتصادى مستقر تسير عليه ،
« الأمم جميعا ... »

والحقيقة أن قوة السلطان اليوم أصبحت تتلون بالفحم والحديد
والبترول وخيرات البحار بعد أن كانت القوة أو معظمها للنظريات
السياسية فى القرن التاسع عشر ، وصار الاعتماد اليوم لآعلى الخطب ، ولا
لغة العواطف التى كان يعتمد عليها السياسيون ، بل على الأرقام ،
ورصد الدرهم والدينار ، وصار رجال الاقتصاد فى مقدمة الرجال
الذين يمسون بمصائر الأمم ، وغدت علومه فى الطليعة .. وما مكن
الولايات المتحدة من الزعامة العالمية اليوم ، ألا لأنها أوجدت لنفسها
اقتصادا حديثا يقوم على وفرة الإنتاج وتشغيل الأيدي العاملة .
مسترشدة فى ذلك بوسائل التقدم العلمى وما تهدد روسيا وسعيها
المتواصل لفرض مذهبها الشيوعى إلا اسكى تعطى من زيت الشرق
ما يسد مطامعها كما يقول الكاتب الانجليزى « برايسفور » . . .
تعمل كل أمة من أمم الغرب اليوم على توفير موارد كافية لها لمواجهة

عوامل اقتصادية . فالاقتصاد يقف وراء كل مشكلة ، وهو الذى يسير
فى الواقع كلا من الجسم السياسى والصناعى والاجتماعى ، حتى قال
المستر هنرى مورجنتاوى ، أحد وزراء مالية الولايات المتحدة سابقا
« يجب عقد مؤتمر اقتصادى عالمى بوضع ميثاقا ،
« للاقتصاد ، لا تقل أهميته الحيوية عن الميثاق ،
« السياسى ، إذ أنه لن يتحقق سلم عالمى ثابت إلا ،
« بوضع نظام اقتصادى مستقر تسير عليه ،
« الأمم جميعا ... »

والحقيقة أن قوة السلطان اليوم أصبحت تتلون بالفحم والحديد
والبترول وخيرات البحار بعد أن كانت القوة أو معظمها للنظريات
السياسية فى القرن التاسع عشر ، وصار الاعتماد اليوم لآعلى الخطب ، ولا
لغة العواطف التى كان يعتمد عليها السياسيون ، بل على الأرقام ،
ورصد الدرهم والدينار ، وصار رجال الاقتصاد فى مقدمة الرجال
الذين يمسون بمصائر الأمم ، وغدت علومه فى الطليعة .. وما مكن
الولايات المتحدة من الزعامة العالمية اليوم ، ألا لأنها أوجدت لنفسها
اقتصادا حديثا يقوم على وفرة الإنتاج وتشغيل الأيدى العاطلة .
مسترشدة فى ذلك بوسائل التقدم العلمى وما تهدد روسيا وسعيها
المتواصل لفرض مذهبها الشيوعى إلا لاسكى تعطى من زيت الشرق
ما يسد مطامعها كما يقول الكاتب الانجليزى « برايسفور » . . .
تعمل كل أمة من أمم الغرب اليوم على توفير موارد كافية لها لمواجهة

مطالب تقدمها ، ورفع مستوى المعيشة فيها ، وتنشيط القوى الانشائية بها ،
والمساعدة على الابتكار . . وقد كان لموسى بنى نشاط في هذا الباب
فردم البرك والمستنقعات وزرعها كما زرع ما استطاع من الاراضي
المعمدة في الجبال - ولا تجلثة نشاط محمود أيضا حتى أصبح من يقطع
الطريق من لندن إلى أدنبرة يجدها كلها منزرعة - بينما لو ألقى الانسان
نظرة في بلادنا العربية لوجد في مصر مثلا نحو ثلاثة ملايين وأربعمائة
 وخمسة وتسعين ألفا من الأمتار المربعة صالحة للزراعة واسكن يزرع
منها مليونان وأربعمائة ألف فقط - وفي العراق نحو اثني عشر مليونا
ومائة ألف بينما يزرع منها نحو مليونين وثمانمائة وسبعة وتسعين ألفا -
وفي سوريا نحو ثلاثة ملايين وثلاثمائة وتسعة وخمسين ألفا بينما يزرع
منها نحو مليونين وثلاثمائة وتسعة عشر ألفا - وقس على ذلك لبنان
وشرق الأردن والمملكة السعودية - وبخاصة في منطقة الحقوف .
ويمكنك أن تجد مثل ذلك في غيرها من البلاد العربية بل والشرقية
دكايران ، مع أن السكان يتزايدون ويتضاعفون والحالة الاقتصادية
تسوء ، والفاقة تكثر ، والأيدى العاملة تتعطل ، ولذلك يجب إيجاد
المشاريع لزراعتها ، وإيجاد الفائض الاقتصادي في كل بلد من بلادها ،
كما يجب أن يوضع اقتصادها على أسس تضمن عدم التدخل في
استقلالها ، فإن الامتياز الذي كان يعطى قديما كمنحة استعمل حقا في
يد أصحابه . فتدخلوا في شئوننا السياسية وشئوننا الجمركية ، وكان أول
شيء أن خفضت الضريبة على أعظم مورد للثروة يجنونها من ورائه وهو
الزيت المعدني فجعلت ٨ . ٠ . وظلت تركيا ومصر والعراق وسواها لا

تستطيع فرض زيادة عليه مددا طويلة . وهذا الغنى الذى لا يقدر
بمال ، والذى يستخرج من منطقة كركوك فى شمال العراق ، وفى ساحل
البحر الأحمر ، وفى نجد على ساحل الخليج الفارسى ، وفى شبه جزيرة
سيناء ، وفى إمارة البحرين ، وفى الجزيرة العربية . أصبح بجانبه
الحجران السكريمان اللذان يستخرجان من كليفورنيا . وأستراليا .
والترنسفال . وأورنج . والماس الذى يستخرج من جنوب أفريقيا
غير مذكور . . أجل يجب على البلاد العربية أن تعيد النظر فى اقتصادها
استقلالاً وحقوقاً وأيلولة . . كما يجب عقد اتفاق اقتصادى إقليمى
يؤلف وحدة اقتصادية عربية تكفى نفسها ويكمل بعضها بعضاً . مع
تقوية الطاقة الصناعية لكل منها حتى تستطيع إلغاء الرسوم الجمركية
على أساس سليم ، على أنه لا يمكن أن يتم عقد هذا الاتفاق على
الوجه الصحيح إلا اذا استطاع كل بلد من البلاد العربية استعمال
أرصده . . ويجب أيضاً توحيد النقد واستقلاله فلا يرتبط بالفرنك
ولا بالجنيه الأسترلينى ولا بسواهما . . ويجب تقوية احتياطي الذهب
وكذلك يجب إنشاء صندوق دولى عربى ، وفى النهاية يجب تأسيس
الشركات الصناعية والزراعية والتجارية المساهمة بحيث يكون
المساهمون كلهم من البلاد العربية جميعاً وبحيث يكون لهم فى النهاية
مجلس إدارة واحد . وجمعية عمومية واحدة . وتسكون الأغلبية العاملة
عربية . والقلة العاملة أجنبية لكي يملأ فراغها فيما بعد من أبناء العروبة
من تعدد هذه الشركات أعداداً كاملاً ، أما المؤتمرات العامة ، والغرف

التجارية المتنوعة . والمعارض المختلفة فهي من الزم اللوازم لتوحيد الاتجاه وتقويته واقتطاف ثمراته .

ولاهمية الاقتصاد أنشئت وزارة للشئون الاقتصادية في بعض بلادنا العربية وهي فكرة حسنة ، سبقت بها بعض الأمم المتقدمة كفرنسا ، والغرض منها حصر القوة الاقتصادية في يد واحدة والمهم أن يوضع هذا التوجيه في يد أكفاء وظيفتهم التحرى والتحقيق والأحصاء مع الاتصال المباشر بالخارج أذ ليس في الامكان اليوم أن يعيش بلد مقفلا أبوابه على نفسه ، والجهل الاقتصادي عندنا في الواقع محتاج أشد الاحتياج الى الإصلاح ، وإلى التنظيم المنطقي المتمشى مع العلم والاجتماع حتى يتحسن الانتاج والتوزيع والاستهلاك ، وحتى يوجد الفائض الاقتصادي لكل قاطن على أرض الوطن ، وحتى يلغى الاحتكار الأجنبي وتستفيد الأراضي البور ، ويفتفع بمساقط المياه ، وتقرر الضرائب المتدرجة ، وتلغى الرسوم على حاجيات الفقراء .

أن العامل الاقتصادي اليوم يتحكم في كل ناحية من نواحيها السياسية والثقافية والاجتماعية ، ولقد كان اختلال ميزانه في بلادنا بدء التدخل الأجنبي ، وفرض نظام الامتيازات فيها ، وشل حركات حكوماتها عن الإصلاح فشاعت الأمية وجمدت النهضة الفكرية ، وعمت الفوضى الاجتماعية ، حتى عدمت روح النشاط العلمي والفكري

في الميادين العملية، كما عذمت بحجارة حركات الكشف والاختراع،
وعجزت عن دفع هذا الوباء المهلك الممثل في الفقر والمرض والجهل،
مع أن فيها كنوزاً من الثروة، ولكن مع الأسف لم تهتد
لمفاتيحها، أو بالحرى لم تبحث عن تلك المفاتيح، ولم تهتم بوضعها في
أقفالها حتى تفتح سفر المجد الذي ظل مطوياً تلك الحقب الطويلة.

إن في كل بلد من بلاد العروبة منابع للثورة يمكن أن تستغل
استغلالاً يكفيها ويفيض عنها، فيها ما يوجد به باطن الأرض من
ثروات معدنية. كالبتروول والفحم والحديد. والفوسفات. والمنجنيز
والنحاس، والذهب. والفضة وسواها. فيجب أن تؤلف للكشف
عنها واستخراجها شركات أهلية تمدّها الحكومة بكل ما تحتاج إليه
من عون، وأن يرغب في التوظيف فيها الأشخاص من أجناب
ووطنين بالأجر والمكافأة على المهارة في الكشف والوصول إلى
إلى ما تحبته الأرض في باطنها، كما يجب العمل على تهذيب الراحة لهم
في المطاعم والمساكن والعمل والمتعة... وفي كل بلد من بلاد العروبة
أيضاً مصادر الثروة الزراعية، فيجب أن تقوم على أسس علمية كالتى
في البلاد الغربية، أما بالنسبة للأرض فبتسميدها وتقويتها واتساع
مساحتها المنزرعة عن طريق الري والصرف، وبالنسبة للغلات
فباختيار أصلاح البذور وتنويعها، وبالنسبة للآلات فباستخدام أحدثها
وأنفعها، وبالنسبة للملاك والعمال الزراعيين فيوضع التشريعات التى
توفق بين الحقوق والواجبات لكل منهما... وفيها الصناعة. وهى

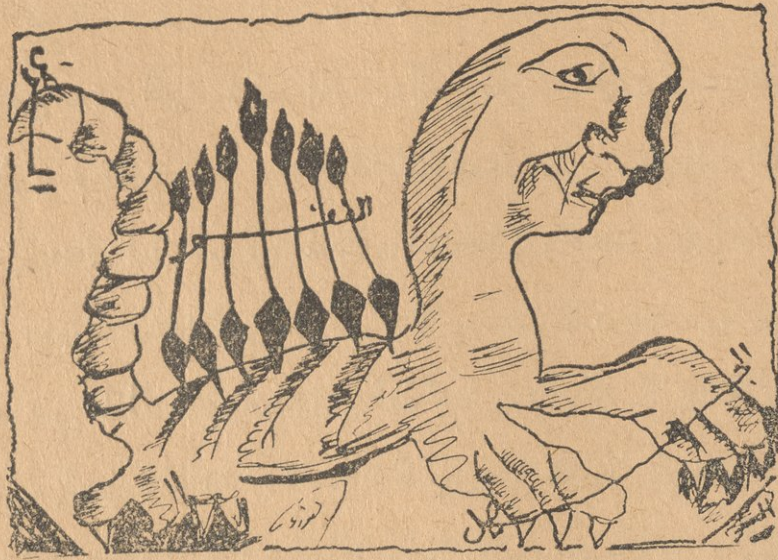
مع الأسف لم تقف على قدميها في أى بلد من بلادنا العربية ، حتى
اتسكاد كل مطالب الحياة عندنا من صنع الأجانب وهذه سببة لا تصبر
على حملها النخوة العربية طويلا ، لهذا يجب تأليف لجان مهمتها بحث
حالة صناعات البلاد واقتراح التدابير الكفيلة لفتح مصانع تقوم
بسد حاجتنا ، من غزل ونسيج ، وزيوت . وكحول وأدوية .
وآلات صناعية ، وآلات حربية ، مع الحماية الجبركية لها ، وتشجيع
القائمين بها ببذل القروض لهم من جهة وتفضيل منتجاتهم على المنتجات
الأجنبية من جهة أخرى ، ثم إرسال بعثات إلى الخارج للتخصص ،
وإحضار خبراء للاستفادة بهم ، إلى غير ذلك من منابع الثروة في البر
والبحر والأصهار والاستيراد ، حتى نقابل مشكلة السكان التي تزايد
في بلادنا تزايدا يهدد نظامنا الاجتماعي بالحل - خاصة والوعي الانساني
يشهد حدة في هذا العصر ، وهو يؤمن بالنظرية الاجتماعية القائلة : -

- أن الدولة مادامت قد سمحت لإنسان بأن ،
- يولد على أرضها فقد التزمت ضمنا بكل حق ،
- له أن يأكل ويشرب ويتعلم ، ويعيش صحيحا ،



الروح الاجتماعى

وكيف يتجه اتجاهها سليمانى بلادنا العربية . . . ؟



البؤس الاجتماعى

لا يوجد مجتمع يسعد فيه الناس إلا إذا قامت الحياة الاجتماعية فيه على نظام مستقر ثابت ، نظام يعطى كل فرد من أفراد حقه كاملا غير منقوص . . . نظام يجد فيه كل فرد من أفراد معدات العيش من وجهتيها الحسية والمعنوية متوفرة لديه ، حتى يستطيع أن يعيش عيشة تؤهله لأن يكون عضوا عاملا فى المجتمع العائلى وهو الأسرة ،

والمجتمع الثقافي وهو المدرسة . والمجتمع البيئي وهو المهنة أو الوظيفة ،
والمجتمع القومى وهو الوطن . والمجتمع البشرى وهو المحيط العام
للإنسانية ... ، وهذه الحياة الاجتماعية بهذا المعنى الشامل هي ما يدفع
أليها التطور الإنسانى دائما . وبخاصة في هذا العصر الذى تقاربت فيه
الإنسانية واتصل بعضها ببعض .

* * *

ونحن معشر العرب لم نسر إلى هذه الغاية سيرا منظمًا، فكانت النتيجة
أن أخذت غرائزنا تشور . ووجدنا أننا تضطرب . وميراثنا الثقافى
المعتدل يتناثر أمام تسرب المبادئ الهدامة إلى محيطنا ، بينما المطامع
الدولية تعمل مع تلك العوامل السابقة على فتح الشغرات التى تدخل
منها الفوضى المقلقة لأوضاعنا فى العقائد ، والأفكار ، والتقاليد .
وكل شىء يتصل بكياننا ، ولا منجاة لنا من هذا كله إلا بتسيطر الروح
الاجتماعى على مجتمعاتنا تسيطرًا تنفع له الوجدانات والمشاعر
انفعالا يعقبه العمل والإصلاح والنهوض ...

* * *

لقد كان لنا قديما روح اجتماعى قوى صاحب مجدها عند ما تألق
نجمه . ولأزم حضارتنا عند ما بسطت سلطانها ، ثم أخذ يتضائل حتى
صار روايات نقرؤها فى أسفار تاريخنا ، وأمثالا نضربها للناس ولا
نحققها ، وصرنا بسبب هذا الجمود نعانى الفوضى السياسية والفوضى
الأخلاقية والفوضى الفكرية ، وصرنا مهددين فى كل شىء ، وهذه حال
عانتها أمم كان حالها مثل حالتنا ، ولم تتخلص من الوهدات التى وقعت

فيها إلا على يد الروح الاجتماعية القوي الذي ولدته الفكرة الاجتماعية التي تغلغلت في مجتمعاتها حتى أصبحت روحا مهيمنة . وعقيدة مهيمنة .

* * *

والفكرة الاجتماعية بمعناها العلي ترفع إلى ذبوع الفوضى السياسية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، حيث قام العالم الاجتماعي الأشهر « أوجست كونت » بوضع « علم الطبيعة الاجتماعية » كما قام من قبل العالم العربي الخالد « عبد الرحمن بن خلدون » في القرن الثاني عشر بوضع « علم العمران » بسبب ذبوع الفوضى السياسية إذ ذاك أيضا . . وقد عمل كل من هذين العالمين الجليلين على التماس العلاج لهذه الفوضى . . وبالدرس والبحث والاستقراء تبين لهما أن الفوضى السياسية ترجع إلى الفوضى الخلقية ، وأن الفوضى الخلقية ترجع إلى الفوضى الفكرية . . فلقد كان منحنى التفكير في زمنيتهما يجمع بين أسلوبيين متناقضين . في البلد الواحد والبيئة الواحدة . وفي المجتمع الخاص . والمجتمع العام . وعلى ضوء ما شاهدوا ودرسوا وضعوا الأسس والأركان لعلم الاجتماع . وهذا في الشرق . وهذا في الغرب . ثم جعلوا إصلاح الفكر هو العباد الأول لكل إصلاح . . . وإذا كان الفضل في وجود الديمقراطية العصرية يرجع إلى « فولتر » و « فيكتور هوغو » و « جان جاك روسو » وسواهم من رجال الفلسفة الحديثة . فإن الفضل في وجود الفكر الاجتماعي وشيوعه يرجع إلى « أوجست كونت » و « شارلس » و « رينان » وسواهم من

رجال الاجتماع ، كهربرت سبنسر ، ... ثم أنه بعد أن كانت القيمة في المسائل السياسية لسياسة الدول التقليدية وما بين الملوك والأمراء من المناوشات والمنازعات أصبحت القيمة لرأى الجماعات في هذه المسائل وبعد أن كانت القيمة أيضاً في المسائل الاجتماعية للحكام ورؤساء الأقطاعات صارت القيمة لرأى الجماعات في هذه المسائل أيضاً .

* * *

وأن مما لا شك فيه أن المذاهب الاشتراكية حتى المتطرفة منها حدثت من جبروت أصحاب رموس الأموال وأنايتهم واعتبرت العمل في يد العامل ليس بأقل شأنًا من المال في يد المالك . ولذا فللعامل من الحق الاجتماعي مثل مال المالك من هذا الحق . وكانت النتيجة أن اتجهت المسألة الاجتماعية اتجاهاً متسع المدى . وبلغت من علو الشأن مبلغاً عظيماً لا في أوروبا وحدها . بل وفي أمريكا . حتى أخذت الأحزاب تضعها في برامجها . وأصبح من أجلها تقوم حكومات . وتسقط حكومات ، وصار لها المكان الأول في السلم والحرب على حد سواء .

* * *

هذا في بلاد الغرب ، أما في مصر وسواها من البلاد العربية فقد جاءت هذه الفكرة متأخرة حيث كان الحكام مشغولين بالخصومات والمنازعات عن مصالح الشعب وحاجياته ، وحيث كان الشعب يرسف في قيود الجهل والتقاليد الضارة ، وحيث كان الظلم والاستعباد يرضعان في أعناقهم الأغلال ، فلا الأمن مستقراً ، ولا الحرية مكفولة ولا مورد المعرفة مهيباً للورود ، وما كان المحصول الضيق الذي

يتمشدد به علماءه إلا قشورا لا تصل إلى اللباب، وما كان أدبه السائد
ألا معازف يتغنى على أنغامها المترفون من أدبائه، أو دفوفاً يندب على
رناتها البؤساء والمحرومون منهم، إلى غير ذلك من مدح مصطنع،
وهجو مربر، ونخر كاذب... وليس أدل على صدق ما نقول من أن
النهضة الحديثة في مصر مثلاً بدأت على يد محمد علي، وكان معظم
اتجاهها إلى الأحياء الاقتصادية، وذلك لتدبير المسال للجيش
والاستطول، وفي عهد اسمعيل تنوع الاتجاه. وكان يبشر بالنجاح
لولا الكارثة المالية التي كان يجب أن يحسب لها حساب... ثم جاء
عهد الاحتلال الإنجليزي، فما اتجه بمصر إلى الناحية الاجتماعية المشمرة
بل كان كل اتجاهه إلى تركيز أداة الحكم في الدواوين، ووضع
النظم التي تجعل الشعب آلياً في ذاتيته وشخصيته، حتى كانت ثورة
سنة ١٩١٩ فكانت ثورة وطنية أصلية حيث أحدثت تبديلاً
بسيكولوجياً خطيراً في نفسية الأمة، به زال خموطها الناشئ من خمودها
السيامي الذي كان يبعث فيها الضعف وعدم الأقدام، فواجهت
الغاصب بحققها في الحرب، وواجهت الأجنبي بأحيائها الاقتصادية
من مصارف وشركات ومؤسسات، وسأرت الاجتماع الانساني
الذي مثلته «عصبة الأمم»، في مسائل العمال وحماية الطفولة والفساد
إلى غير ذلك من الاتجاهات المتنوعة. وتأثرت بمصر جميع بلاد
العروبة على درجات متفاوتة، فكان الأحياء الاقتصادية، ثم كان
الاتجاه الاجتماعي أخيراً.

على أن الخدمة الاجتماعية بقطع النظر عن ارتكازها على علم الاجتماع النظرى والتطبيقي كما هى اليوم فقيمة ، حيث كان الانسان يقوم بأداء ما يحتمه الواجب من خدمة الفرد والجماعة ، فلقد ظهر التضامن الاجتماعى لدى قدماء المصريين ، وكان المظهر الأول له تجمع الناس عند الفيضان لدرء خطره . وتنظيم الري . وأقامة القرى فى أما كن أمينة ، وكان من مظاهرها أيضا نظام المهن ، فابن الزارع زارع وابن الصانع صانع ، وابن التاجر تاجر ، وهكذا... وكذلك أيضا نظام الطبقات . ونظام العمل والعمال حيث كان جزء من العام يقضيه العامل بدون عمل ، وعلى الدولة أن تهىء له طعامه وشرابه وما يحتاجه ، وفى عهد اليونانيين والرومانيين والاسباطيين كانت الخدمات الاجتماعية قائمة على تربية الأجسام وتقويتها وسلامتها من الأمراض حتى تستطيع الحرب والنزال فى سبيل سلامة الدولة وسيطرتها ، وفى الجاهلية عند العرب كانت قائمة على سقاية الناس عند الحج ، ورفادة الفقراء بالطعام الذى يخرجهم الأغنياء . وعلى الأموال التى تقدم للآلهة من نقود وحلى تؤول بعد المحتاجين ، وعلى السكرم والجود وإيثار الضعيف من الأهل والنفس . . . وكان شارلمان يحتم على الأغنياء أطعام الفقراء والقيام بشئونهم ، وفرض فيليب ملك أسبانيا ضريبة خاصة من أجل الفقراء . . . أما الأديان السماوية فقد رسمت لها مناهج متنوعة باعتبار أن المال مال الله فيجب أن يصرف على عباد الله ، وما من دين وفى تنظيمها كالأسلام فكانت الزكاة ومصاريفها السبعة ، وكانت الصدقة والبر والاحسان . وكانت الرحمة بالعامل والطفل

والمرأة والعاجز والضعيف قبل أن توجد عصبة الأمم وغيرها ، ولقد كان الأمويون ينصبون الموائد على الطرق في الصباح والمساء ، وكان الحجاج الثقفى يضع في كل يوم من أيام رمضان ألف خوان وفي غيره خمسمائة خوان للجائعين ، وكان على عهد يزيد بن عبد الملك تتخذ دور الرياضة ، إذ شيد الحكم بن عمر الجمحي دارا جعل فيها شطرنجات ونردات وملاعب متنوعة ، وكتبها مختلفة للفنون والبحوث ، ومن ذا الذي ينسى هبات الرشيد ، وكرم البرامكة . . . ١٤٠٠ ثم أن التاريخ يحدثنا عن البر والأحسان في الأعياد والموائد والليالي المباركة في عهود حكام المسلمين في كل قطر وكل دولة ، بل وفي أفراحهم وختان أبنائهم ، فقد حدث قنصل روسيا في مصر أن القاهرة في نوفمبر سنة ١٨٣٧ أنست حلة من النور والجلال والزينة المناسبة ختان أربعة من أولاد الباشا الكبير د محمد علي باشا ، وثلاثة من أبناء الباشا الصغير د ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ، ، وأنه تقرر لهذه المناسبة تحتين ١٢٠٠ طفلا من أبناء الشعب على نفقة الحكومة بحيث يكون ٥٠٠ من أبناء الطبقات الوسطى و ٧٠٠ من أبناء الفلاحين وأن يعطى كل ولد من الفريق الأول حلة جميلة ومبلغ ٥٠ قرشا فضة كما يقدم لكل ولد من الفريق الثاني طربوش وقطعة قماش وحذاء ومبلغ ٢٥ قرشا . وتم الختان فعلا في قصرى د الدفتردار ، و د ابراهيم باشا ، لهؤلاء الأطفال الذين ركبوا العربات الفاخرة التي تجرها الجياد وتحرسها الجنود مع أبناء محمد علي وأبناء ابنه ابراهيم واستمرت الحفلات ثمانية أيام وقدرت التكاليف بنحو سبعة آلاف كيس .

وفي بلاد الغرب - أوروبا وأمريكا - تسن التشريعات وتنفذ شيئاً فشيئاً كما حدث في إنجلترا عند ماسن « قانون الفقر سنة ١٦٠١ م - وفي أمريكا بعد استقرار النازحين بها صدر قانون العمل لكل نازح خاصة والسبل ميسرة ، وألا أجبر على العودة . . ثم أخذت الخدمات الاجتماعية تنوع فيهما وفي سواهما ، من وجوب رعاية الأرامل والأمهات وكذا الأطفال ، ووجوب إيواء الشحاذين والمتسولين ، ووجوب قيام القادرين بأعانة المحتاجين لافرق بين ملة وملة ، ولاجنس وجنس . . والخدمات الاجتماعية في البلاد العربية تتجاوب أصدؤها بين بعضها والبعض الآخر لتشابه البيئة وتقاربها ، ولكنها في حاجة إلى أخصائيين موهوبين مزودين بدراسات اجتماعية متنوعة ، بل ودراسات صحية ونفسية واقتصادية وأدبية كما هي في حاجة إلى « مدارس للخدمات الاجتماعية ، على نسق مدرسة نيويورك التي أنشئت سنة ١٨٩٨ وظلت تترقى في دراساتها وتتطور مع الزمن ، ولعل مدرستي الخدمة الاجتماعية بالقاهرة والاسكندرية تستكملان عدهما في هذا السبيل عن قريب حتى يكونا خير مدد للباحثين والباحثات وأهدى مرشد للوافدين والوافدات من بلاد الشرق والعروبة .

بقيت الآن مشاكلنا الاجتماعية التي بحملها نتكون تكوننا صحيحاً ، ونكون أمة ذات كيان قومي سليم ، أمة تستطيع أن تسير الاجتماع الإنساني مسيرة غير مهبطنة فتقف على قدميها في معترك الحياة بين دول العالم مرفوعة الرأس ، وهذه المشاكل معقدة ، وذات خطر بالغ

لتشعبها واتصالها بجميع طبقات شعوبنا العربية . ويرجع معظمها
 للفقر . . . ومن المقرر أن النتيجة المترتبة على الفقر أن تحدث
 الانحرافات الاجتماعية المتولدة من الخلل الاجتماعى . من زنا المرأة
 فى سبيل القوت ، وتشرد الأبناء بسبب عجز الوالدين ، وانتشار الجهل
 بسبب عدم وجود الفأئض الاقتصادى الذى هو نواة الثقافة فى الشعوب ،
 وفى النهاية سوء الخلق والاحرام ، فالإنسان كما يقول « بنتام » إذا
 حرم طريق القوت كان هذا الحرمان أقوى الدوافع على ارتكاب الجريمة
 كي يحصل من وراء ذلك على ما يقتات به . والجريمة أيا كان نوعها يجب
 أن تكافح ويقضى عليها . وهى هنا ليست بالقبض على المجرم بل
 بالقضاء على الوكر الذى تفرخ فيه وهو البيئة ، وإن يكون هذا القضاء
 بصب البترول عليها وأحراقها ، بل بأصلاحها اجتماعيا ، بحيث نهد
 لأصحابها العمل والعيش ورفع المستوى . . . ولقد وضعت قواعد
 لعلاج هذا الحال على أساس المعاونات الاجتماعية ، وذلك برصد
 مبالغ كافية لها . بحيث توزع فى عدة سبل ينال منها المحتاج ما يقيه
 الحاجة أو يخفف وطأتها ، وعلى هذا الأساس أنشئت المطاعم الشعبية ،
 والمساعدات الاجتماعية والأغاثة وملاجئ العجزة والمعوزين
 والأيتام . وأصلاحيات الأحداث ، كما سنت قوانين لمسكافة التشرد
 والتسول والشحاذة . ولقد انتهى رأى الاجتماعى فى هذا إلى العمل
 على حل مشكلة الحاجة والعوز من أساسها ، أما الحل الوقى بالبذل
 والعطاء فلا يركن إليه . . . كما انتهى رأى إلى ألقاء هذه المهمة على
 عاتق الأخيار الأبرار من أهل النجدة ، أذ لفائدة ترجى

منها إذا لم يقم بالهيمنة عليها أكفاء ذوو همة وعدالة،
وعطف وضمير،

ومن المشاكل أيضا مشكلة التفكير المختل ميزانه وهي تستوجب
اختيار نخبة مختارة للأرشاد الاجتماعى - يقومون بأزالة الأدران
التي رانت على الأذهان والقلوب - من تقاليد بالية لا تتعلق بمجد
الماضى ولا بأصلاح الحاضر ولا بخير المستقبل، كما يحولون بين
تلك الأذهان وبين المبادئ الخطرة من أن تتسرب اليها، ثم
يغرسون فيها الإدراك المذهب، والتربية الكريمة، وهذا يستلزم
السمو بثلاث - المسرح - والسينما - والأذاعة - بحيث تلتقى أسمى
الانتاج الفكرى حتى تجذب الناس للعلو، وإذا
كانت الأمم على اختلاف مراكزها تعنى بالدعاية، فالأرشاد
الاجتماعى - دعاية اجتماعية وتبليغ لرسالة الإصلاح، وتنوير
لأذهنة الشعب، وسمو بروحه . فيجب أن يكون رجاله من ذوى
الشخصيات التي تميزت بضمير حى، ورأى منزن، ولسان طلق، وماغض
كريم، وثقافة متسعة الأفق . سراء أتدبلوا أم لم يتدبلوا، - كما
يجب ألا يظلوا معينين على اعتمادات تقف بهم عن التدرج والرقى . .
أن مهمتهم السامية تحتم على القائمين بالامر فى شئون الإصلاح
الاجتماعى أن يجعلوهم فى الرعيل الأول رعاية وتشجيعا حتى يحققوا
رسالتهم على خير الوجوه وأسمائها

ومن هذه المشاكل أيضا مشكلة الريف ، ففلاحوه هم أغلبية
سكان البلاد العربية . ولو أنك جئت أى ريف فيها لوجدت
الفلاح يعيش أسوأ عيشة . فى مأكله . ومشربه . وملبسه وتعليمه ،
ومستواه الإنسانى فى كثير من هذا الريف لا يأكل الفلاح اللحم
ألا فى المواسم ، ولا يعيش إلا على طعام الاذرة حتى أصيب
« بالبلاجرا » ، ولا يشرب إلا الماء العكر حتى أصيب بالدونستاريا
والبلهارسيا وسواهما ، ولا يجد حظه من الملابس الكافى الذى يقيه
زمهرير الشتاء ؛ أما العلم والثقافة ومتعة الحياة وزينتها مما أحله الله
فكيف ينالها وهو على ما هو عليه وما وصفناه ؟ .. ولحل هذه المشكلة
يجب العمل السريع على إنشاء المراكز الاجتماعية وتعميمها . تلك
المراكز التى يشتمل كل مركز منها على دار للخدمة الاجتماعية ، ودار
للخدمة الزراعية ، وصالة للصناعات الريفية . وحمامات . ومغاسل
وعملية مياه ، وساحة رياضية ، ومكتبة . ويقوم بشئون العمل فيه
أخصائيون متمرنون ، من أخصائى اجتماعى ، وأخصائى زراعى ،
وطبيب ، وزائرة اجتماعية . وزائرة صحية . فضلا عن القيام
بمحاضرات خاصة وعامة وبما يتصل بها من عروض سينمائية ، مع
الإشراف على الأقطاعات الزراعية ... وقد وضع مشروعها على أساس
حاجات البلاد وظروفها ، وروعى فى تمثيلها البساطة ، ومشاركة
الأمهالى فى إدارتها ، والتعاون مع غيرها من الهيئات الحكومية
كالمجموعات الصحية والمدارس الريفية وبما يجب عمله أيضا
لتحسين حال الريف إنشاء القرى النموذجية . ونشر جمعيات التعاون ،

والإزام ذوى الضياع الواسعة برفع المستوى العام لفلاحهم
حسا ومعنى .

ومن هذه المشا كل أيضا د مشكلة العمال ، فيجب تحسين حالهم ،
وحمايتهم من شر تقلبات الصناعة ، مع تأمينهم ضد العطل والمرض
والشيخوخة بالطرق التي انتهى إليها التقدم العمالي في العالم لما في
ذلك من صالح الدولة - قال مستر د هارولد باتلي ، مدير مكتب
العمل الدولي - :

- د أن طمأنينة الدولة في الوقت الحاضر أصبحت ،
- د لا تعتمد على تحصين حدودها فقط . بل على ،
- د قدرتها على أن تتيح لكل طبقات مواطنيها ،
- د وفي مقدمتهم العمال وسائل كافية ومناسبة للعيش ،

وقد بما دعا أفلاطون إلى أن ينال كل فرد في الدولة مثل ما يناله
أعلى رأس فيها من حق العيش . . وقال مونسيكو - : د أن الحكومة
ملتزمة أمام كل فرد من أفرادها بأن تعمل على أن ينال حقه من
الطعام والملبس والسكن وقال جان جاك روسو في عقده الاجتماعي
المشهور ، - : د أن المجتمع لا يكون قد قام بواجبه إذا ترك أحد أفراد
في بؤس . . مع أن نزاعته في ثورته كانت من أجل تحقيق الديمقراطية
السياسية ، لا الديمقراطية الاجتماعية . . ومن أجل هذا كان مشروع الوقاية
الاجتماعية ، الذي صدر في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٥ ، ثم د مشروع
بيفردج ، الذي صدر في إنجلترا سنة ١٩٤٢ م والذي وصفه أحد الباحثين

عندنا بأنه نصف الطريق إلى موسكو ، ثم مشروع روزفلت الذي

صدر سنة ١٩٤٣ م

* * *

وجود وزارة للشئون الاجتماعية من ألزم اللوازم في كل قطر من
أقطار العروبة اليوم . على شرط أن تتكون تكويننا اجتماعيا صحيا ،
وأن يختار موظفوها اختيارا خاصا ، فيراعى فيهم أن يكونوا من
المتخصصين في الدراسات الاجتماعية ، ومن ذوى المواهب الطبيعية
المتمايزة فيما يقومون به حتى يؤقلموا الأمزجة تأقلمها نهوضا إذا
أرشدوا ، ويقوموا بظهر المعوز إذا ساعدوا ، ويرفعوا بيضة الزارع إذا
تمركزوا وتعاونوا ، ويؤمنوا العامل بالعمل أن قدر ، وبالعون أن
عجز ، وبهذا وبتقعيد المسائل الاجتماعية على قواعد ثابتة مع الابتعاد
بها عن مشاركات الحزبية ، تنهض نهضة سريعة يحى بعدها نهضة المجتمع
نفسه ، فيستطيع القائمون بشئون الاجتماع فيها أن يعملوا على مد
جذوره الفكرية والعملية إلى كل جمعية وكل هيئة امتدادا يثبت أقدامها ،
ويزيد في مدى اتساعها ، كي تلقى التبعات عليها في النهاية ، وحتى لا يكون
للوزارة في المستقبل ألا الأشراف والتوجيه فيصير الشعب في شخص
تلك الجمعيات والهيئات قادرا على إصلاح نفسه بنفسه . . . وهذا
النظام هو ما اتبعته الأمم الراقية في أوروبا وأمريكا . فهذه جمعية
نيفيلد الانجليزية ، مثلا تقوم بما تقوم به وزارة ، من مكافحة الفقر .
وتحسين الصحة . وأيجاد العمل للعاطلين ، وتأمين من حبل بينهم ومن

العمل بسبب العجز أو الشيخوخة ، فضلا عن نهوضها الاجتماعي والثقافي ، حتى أنها أغدقت هباتها ومعوناتها على كثير من الجامعات . وفي مقدمتها ، جامعة لندن ، وكليات مانشستر ، وجلاسكو ،

* * *

أن الإصلاح الاجتماعي مهمة ذات خطر كبير ، فليس من المستطاع أن يتحقق إصلاح في أمة إلا إذا انصرفت جهود بنيتها للتنظيم الاجتماعي حتى ينال كل فرد فيها حقه من الحياة الكريمة له ، وإن يكون ذلك إلا بنبذ الآراء المعوجة التي هي وليدة تفكير سقيم . تفكير يقوم على عدم التعادل في الجهد والجزاء . وعدم التوازن في الحقوق والواجبات ... وهذا الإصلاح المنشود لن يتحقق أيضا إلا إذا كان عمليا . وبحركة فاعلة من جانب حكوماتنا العربية وباستجابة وقبول من جانب شعوبها ، أفرادا وجماعات ، ومن الخطأ أن يعتبر الفرد نفسه كماً مهملاً . فالفرد والجماعة وحدتان متغلغلتان ذاتا قطبين يقوم أحدهما الآخر ، فكل تأثير من أفساد أو إصلاح يلحق بأحد القطبين يتغلغل في اتجاه الوحدة كلها ، ويتزايد بفعل الانعكاسات المتبادلة ... ، والتفاعل بين الفرد والجماعة أشبه بالتفاعل بين ملكات النفس ، وهذه الملكات قد استطاع اليوم فن تدبير النفس تنظيم العلاقة بينها بمازجابين العاطفة والعقل والارادة ولما كان الفرد في أى مجتمع كان خاضعا لعاملين . هما الوراثة والبيئة . وجب أن يتجه إليهما الإصلاح . فهما كائن حي . وكل كائن حي يمتاز بكثير من المرونة

في وظائفه الفسيولوجية . فبأحكام طرق التربية والتوجيه يتحولان إلى ما نضد من رقى . وبذا يتحول سلوك الفرد إلى سلوك أرقى . فيشعر باحترام الأوامر التي تربطه بمجتمعه . ويعمل على تدعيمها . فتتلاشى فكرة الأنانية عنده . . . والأنانية هي أصل بلايا المجتمعات . وهي التي دائما تصرف المتصرفين بها عن حب التعاون ، وتفقد معنى التسامح ، ثم هي تدل كما أثبت علماء النفس على مرض في الجهاز العقلي كما أنها في نظر علماء الاجتماع أفعال العوامل في تخلخل المجتمعات تخلخلها يفقدها توازنها ، ثم يحطمها في النهاية . . . وقد علمتنا الحرب العالمية الثانية أن نسيان الأنانية بين الشعوب الديمقراطية كان السبب في كسب النصر ، أو على الأقل كان سببا من أسبابه الجوهرية . كما علمتنا أيضا أن قوة شخصية دعايتها إنما نتجت من قوة بيئاتهم الاجتماعية وحيويتها ، حيث كانت مدداً للحضارة العامة في إبان أتون الحرب الملتهم . مع احتفاظ كل أمة بمشخصاتها الدولية . وطابعها القومي . . .

* * *

وإذا كان الإصلاح الاجتماعي عبارة عن حرب ضد الانحلال في جسم الأمة كان في أشد الاحتياج إلى نسيان الأنانية ، وإلى تكوين الشخصية وتقويتها . وإلى الاحتفاظ بالطابع القومي . . . فاعلمنا بعد هذا ألا أن نبتذر البذور الطيبة في تربة الإصلاح على شرط ألا يكون هذا البذر فكرة من غير عمل . ولا عملا بدون فكرة ، وإنما يكون فكرة وعملا في آن واحد ، وبذا تتحقق العدالة الاجتماعية في جميع

أقطار العروبة بمعناها الأسمى...، اذأنتا مع الأسف كلما بحثنا عن هذه
العدالة في بيئاتنا ومجتمعاتنا لانجدها إلا شاردة أو مطعونة بالسهم،
يحيط بجسمها الشوك، ويعصب رأسها الحداد، ويملا فمها المر والحنظل،..
بعد أن كانت أبان عصرنا الذهبي محاطا جسمها بالسوسن، مرصعا فمها
باللؤلؤ،... مكللا رأسها بالجواهر،...!



العرب كعضو هام في العالم الاسلامى وكيف يؤدون رسالة الاسلام الخالدة لخير الانسانية . . . ؟



رسالة السماء الى الارض

العرب والعالم الاسلامى

العرب هم الطليعة في كتائب الاسلام اليوم، حيث ترمقهم مجموعة
الامم الاسلامية في أنحاء الارض بالامل والاحترام . . . وهذه
المجموعة من الامم تمتد من المحيط الاطلنطى في شمال افريقيا الى

الباكستان والصين في أحشاء آسيا ، وقد خضعت في أكثر حقب التاريخ إلى مصائر متشابهة ، رفعة وانحداراً ، قوة وضعفاً ... ومائة مليون من هذه المجموعة بينهم علاقة اللغة العربية للجميع ، والدين الإسلامي للكثرة الكبرى من أهل شمال أفريقيا وإيبيا ومصر ، وسائر بلاد الجامعة العربية ، وتجمع علاقة الدين الإسلامي بين هذه الملايين المائة ، وبين أهالي إيران وأفغانستان وأندونيسيا والباكستان والبلاد المجاورة لها من التبت والصين ، وفي أفريقيا بمجموعة منها أيضاً بينهم روابط جغرافية وأخرى دينية تجمع بين شرق أفريقيا بما فيه مصر والسودان والحبشة والشرق الأفريقي القريب من خط الاستواء . وهذه المجموعة من الناس جماعات حية لها كياناتها الإنسانية الخاصة ،

* * *

وأذا كان الأمم أيام تمر عليها لتجدد وجودها أن كان بها بقية من حياة ، أو ليقضى عليها أن كانت قد استنفذت تلك البقية ، فالمسلمون اليوم ، والحمد لله ، تمر بهم هذه الأيام وفيهم هذه البقية ... فليعصروا شعوراً قوياً ، وفهماً صحيحاً . وعقيدة نقية . وعملاً صالحاً ، ولينشئوا « جامعتهم الإسلامية » ، بعد أن خابت آمالهم « في مؤتمر الخلافة » ، و « في مؤتمر سيفر » ، ... أنهم اليوم أربعائة مليون من الأنفس تقريباً ، فيجب أن يكون الإسلام فيهم أربعائة مليون قوة تتركز في جامعتهم ، فما المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلا جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ... وفي وحدتهم ويبدعهم كتابهم يطبقون نصوصه خير لهم ولاغيرهم من الأمم ،

أسباب تأخر المسلمين

ليأخذ المسلمون دائماً من الماضي درساً للحاضر والمستقبل ،
 وليعلموا أن هذه الوقفات التي وقفوها مرتدين إلى الوراء . سببها البعد
 عن مبادئ الإسلام وتعاليمه . ولم يظهر هذا البعد في صدره الأول
 لغلبة روح الدين ، رتجها في أطار من النور ، وأن كانت الفتنة
 بدأت تطل بوجهها منذ عهد الخليفة الثالث . عثمان بن عفان - حيث
 دخلت العصبية في الحكم ، وصارت أسرته عفا الله عنه هي كل شيء ،
 والمسيطرة على كل الشئون في حين أن الإسلام يحتم الانتفاع بذوى
 الكفاءات من غير ذى القربى ويحذر من العصبية وإن اتهم عثمان
 رضى الله عنه في إيمانه ، وأما نقول : أنه اجتهد في الرأى وأحسن الظن
 بذوى قرباه فلم يكونوا عند حسن ظنه . وكانت الفتنة . وكان أرهاق
 الرعية بدليل أنه ولي أخاه من الرضاع . عبدالله بن سعد بن أبي السرح ،
 حكم مصر فلما زادت جبايتها على ما كانت عليه في عهد عمرو بن العاص .
 قال لعمرو : أن اللقاح بعدك درت . فأجابه عمرو في تهكم : لأنكم
 أعجفتكم الفصلا ثم نمت هذه العصبية وتلونت ، فكانت بين
 الأمويين والعلويين ، ثم بين الأمويين والعباسيين ، ثم بين العباسيين
 والموالى حيث ظهرت « الشعوبية » وغيرها من المذاهب الدخيلة على
 الإسلام ، مع أن الإسلام كما قلنا ناهضها وحاربها ، ولكن المسلمين
 حادوا عن صراطه فاستفحل شئنا فشيئنا حتى أنهكت قواهم ، وأسلبتهم
 المرة بعد المرة إلى التأخر والانحلال ومن أسباب التأخر أيضا
 بدعة وراثه الحكم ، ثم تحوله إلى أوتوقراطية ، وعهود أقطاع ، مع

أن أساس الحكم في الإسلام هو الشورى والانتخاب، بدليل ما حدث يوم السقيفة، حيث انتخب المسلمون «أبا بكر» خليفة عليهم - وبدليل امتناع عمر بن الخطاب من أن يرثه ابنه في الحكم حيث قال: «يكنى من آل الخطاب واحد...» ثم أن الإسلام قيد الأمر بطاعة الله ورسوله، وأعطى الرعية حق خلع الحاكم أن حاد عن الجادة. حتى أن الخليفة الأول قال لما تم له الأمر من خطبة له: «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم». وقال الخليفة الثاني أيضا من خطبة له: «وإذا رأيتم في أعوجاجا تقوموه، فلما قال رجل من الحاضرين -: والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بسوفنا - حمد الله وأثنى عليه، وبهذا سقطت تهمة المستشرق «أجناس جولد» - الذي اتهم الإسلام بأنه وضع السلطة المطلقة في يد الحاكم بلا رقيب ولا حسيب....

* * *

ومن أسباب التأخر أيضا دخول المذاهب الهدامة على مبادئ الدين وتعاليمه، وفي طليعتها «مذهب الجبرية» الذي أدخله الفرس على عهد العباسيين. لغاية سيئة هي إيهام الناس أن الملوك مجبورون على تولى الملك وأنه قدر من الله جرى عليهم، وبهذا أدخلوا السكهنوتية الدينية في الإسلام؛ فصار الخليفة يدعى أنه ظل الله في الأرض، وأنه يستمد سلطانه من الله كما يزعم «البابا» تماما، ثم انتقلت فكرة الجبرية إلى الخاصة والعامة، وبهذا صاروا في واد. والإسلام في واد،

إذ حدث مع الأسف أن شوهت هذه الفكرة حقيقة الإسلام فاتهمه
مخالفوه بالتواكل والكسل وعلى رأسهم المكاتب الأمريكي واشنطن
أيرفينج ، حيث يقول :-

« أن تعاليم الإسلام ومبادئه تقوم على فكرة ،

« الجبرية ... وهذه الفكرة فيها دعوة ،

« صريحة إلى التواكل وعدم السعي في الحياة ،

مع أن الإسلام يرى منها ، فهذا رسوله الأعظم . وهو مزود
بالوحي ما كان يترك أمر تدبير شئونه . وشئون أمته ، بل كان يفكر
ويدير ويشير ويستشير ... أسر دعوته حين كان السر واجبا ومجديا ،
وجهر بها حين الجهر بها لازما ومثمرا ، . وسالم حين كان السلم أنفع ،
وحارب حين كانت الحرب أصلاح ، ثم هاهو ذا قرآنه ينوه بمكانة
العقل ، ويحث على العمل ، ... ومن أسباب التأخر أيضا سفه الحكام في البذل .
فلهذا ألف ألف ولذاك مائة ألف . وكذا أنغماسهم في الترف مصممين
آذانهم عن قول الله - : « وأذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » مع أن الإسلام يحذر
من متاع الدنيا ويشدد في مسئولية الحاكم عما تحت يده ... ثم أن
المسلمين بعد هذا كله خلطوا بين العلم والحكمة . وبين الفلسفة والدين .
وبين منهج القرآن ومنهج اليونان ، فحولوا وعلى رأسهم « المعتزلة » ،
الدين من القلب إلى العقل . وألفوا العقائد في شكل قضايا منطقية .
فتحجر الدين . وانقلب جسما جامدا لا روح فيه . فجمدت حرارته .
وضعفت شعلته . وقل نوره وضياؤه ، فلم يسر في النفوس سريان

النور في الظلماء كما كان من قبل ، وانقلب أعجميا... وبخاصة منذ اصطنع
الحكام الأعاجم - وذلك لأن رؤساء الجند كما يقول الإمام الشيخ محمد عبده :-
تغلبوا على الخلفاء . واستبدوا بالسلطان ، ولم يكن لهم ذلك العقل الذي
راضه الاسلام ، والقلب الذي هذب الدين... لبسوا الاسلام على أبدانهم
ولم ينفذ منه شيء إلى وجدانهم ؛ وكثير منهم كان يحمل إلهه معه يعبد
في خلوته ، وبصلي مع الجماعات لتكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام
آخرون كالتتار ؛ فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ، أما العلم فلم يحفلوا به
وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثير منهم على أن ينتظموا في سلك العلماء وأن
يتسربلوا بسرابيله ، ليغدوا من قبيله - ثم يضعوا للدين ما ييغض
اليهم العلم ، ويبعد بنفوسهم عن طلبه ، وقد دخلوا عليهم وهم أغرار من
باب التقوى وأدخلوا عليهم ما كانوا فيه من خفخة الوثنية والطقوس
الكمهوتية حتى أصبح الاسلام أرتكازا على أوراد تقرأ وأحزاب ترتل ،
وصار مظاهر مرضى في دنيا أفعمت بالصحة ، ومظاهر فقر في دنيا
ملئت بالعافية ، ومظاهر جهل في دنيا اكتظت بالعلم وغدا جودا في عصر
أهتزت فيه الأرض . وزالت كل السدود والقيود... فاذا لم يعد المسلمون
إلى هدى دينهم الخفيف . ذلك الهدى الآتي الجامع بين السعادتين -
سعادة الدنيا وسعادة الآخرة تحقق فيهم قول الرسول عليه السلام :-

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى ،

« إلا كلة على قصعتها ، قال قائل - : أو من قلة ،

« نحن يؤمن بالله يا رسول الله ؟ - قال : لا . ،

« واسكنكم غناه كغناء السيل ، ولينزعن الله من ،

« قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن الله في ،
« صدوركم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول ،
« الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ،

حقيقة الاسلام

أن حقيقة الاسلام العليا لا تتجلى في تلك المظاهر الدخيلة عليه .
والتي سببت تأخره . واتخذت سلاحا ضده وإنما تتجلى فيما شرعه
الله ورسوله وتضمنه كتابه - وهذا يستوجب أظهار مكانة صاحب
الرسالة المحمدية بين الرسالات - ومنزلة كتابه الكريم بين كتب الله
المنزلة - ثم أفاضة القول بعد ذلك في بيان الاسلام الصحيح ورسالته الخالدة
أفاضة فيها كل ارتكاز لكل ما يحاول الرقي البشري أن يبلغه دينا ودنيا ،
عسى أن يكون فيه بلاغ للناس ، وأن تجسد فيه راحتها وسعادتها هذه
الانسانية المعذبة التي أحاطتها هذه الحضارة المادية بسور ظاهرها فيه
الرحمة ، وباطنها العذاب والدمار .

عجل البشر به

يخبر الله جل شأنه أنه سبحانه أخذ العمود والمواثيق على النبيين
في عالم الذر إذا جاءهم رسول مصدق لما معهم ليقؤمنن به ولينصرنه ،
وأنهم أقروا بذلك فأشهدهم على أنفسهم . وشهد سبحانه معهم
وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد بن عبد الله النبي العربي
الأنبي الذي بشرت به التورات أذ تقول - :

« ويأتى محمودون كل الأمم ،
أى محمود كل الأمم . وهو محمد عليه السلام ، وبشر به
الأنجيل إذ يقول - :

« وعد أهل الكتاب بمجيء ثلاثة - المسيح - وهو ،
« عيسى . وأيلياء وهو يحيى . والنبي - وهو محمد ،
ويقول أيضا - :

« خير لى أن أنطلق . لأنه أن لم أنطلق ،
« لا يأتىكم الفار قليط وتعريبها - محمد - ،
وهذا مصداق قول القرآن - :

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يحدونه ،
« مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل ،

القرآن الكريم

وأما كتاب الإسلام فهو القرآن الكريم الذى لا يأتىه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والذى يقول فيه
الرسول الأعظم من حديث شريف - :

« كتاب الله . فيه نبأ من قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم ،
« ما بينكم . هو الفصل . ليس بالهزل . من تركه من جبار ،
« قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو ،
« حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط ،
« المستقيم . وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا التلبيس به ،

« الألسنة ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ،
 « ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم تنته الجن أذ سمعته حتى ،
 « قالوا - : أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشدا . فأما به .. ،
 « من قال به صدق .. ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، ،
 « ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »

- وقد ترجم هذا القرآن - ١٢٠ - ترجمة في - ٣٥ - لغة ، ما بين
 شرقية وغربية . وتكررت طبعات بعض هذه الترجمات ، حتى أن
 ترجمة العالم الانجليزي « جورج سسل » طبعت - ٢٤ - مرة - ولأن
 يتسع هذا البحث لتحليل هذه الترجمات ، وبيان مقدرة اللغات التي
 ترجم إليها . . كالانجليزية ، والفرنسية ، والإيطالية ، واللاتينية ،
 والعبرية ، والفارسية . والتركية ، والصينية ، والأفغانية ، والجاوية ،
 والأردية ، وسواها على الأحاطة بما حوته دفتاه ، كما لا يتسع لإثارة
 مسألة الترجمة . هل تكون لحروفه أو لتفسيره فقد وفاها حقها من
 البحث والدراسة أفاضل العلماء والباحثين ، وإنما نحن بصدد . بيان
 حقيقة الاسلام . ورسالة الانسانية الخالدة . ووجوب تبليغها للعالم
 كافة عملاً بقول الله - .

« أن الذين يكتفون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ،
 « ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم ،
 « اللاعنون . ألا الذين تابوا وأصلحوا وينبوا . فأولئك ،
 « أنوب عليهم وأنا التواب الرحيم »

الاسلام الصحيح ورسالته الخالدة

وأما الاسلام فهو اسم مشترك وضعه الله على لسان أكثر
الأنبياء والمرسلين - وضعه على لسان إبراهيم إذ يقول - :
« إذ قال له ربه أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين ،

ووضعه على لسان يعقوب - إذ يقول - :

« إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا . نعبد الهك ،

« وآله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق الها واحدا ، ونحن ،

« له مسلمون . . . »

ووضعه لما في التوراة والمنفذين لأحكامها من أنبياء بني إسرائيل
إذ يقول - :

« أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ،

ووضعه لكل ما شرعه ووصى به أنبياءه ورسله - إذ يقول - :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا . والذي أوحينا إليك ،

« وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ،

ثم وضع هذا الدين قائلا - :

« أن الدين عند الله الاسلام ،

وشرح حقيقة الاسلام بأنه تسليم الوجه لله والاحسان في القول

والعمل قائلا - :

« ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ،

وقد تميز على كل الأديان بعمومه وشموله ، ومرونة تشريعها

وأحكامها ، وجعله الدين للدنيا كالروح للجسد فوصل كلا بصاحبه ،

وهذا بفضل إشرافه الإلهي الذي كشف لرسوله الأعظم عن أطوار
النفس البشرية. فشرع لها ما هو نور وحكمة ، بعد أن غشيتها ظلام
الظلمة ، وبليها تعسف الظالمين ، وأحاطت بها مادية مهلكة - مادية
دولتين متناحرتين تتنازعان العالم - هما دولة الفرس ودولة الروم -
وبعد أن غمرها ما غمرها من أخذ بالثأر ، وشرب للخمر واستباحة
للحروض وواد للبنات ، فكان الإسلام هو الحبل الممدود من عالم
ما وراء الطبيعة ليخرج هذه الإنسانية المعذبة مما هي فيه من شقاء مهلك ،
إلى نعيم دائم ، بفضل وصلها بالملأ الأعلى ، والتوفيق بين ما تفرضه
الحياة من مادية عادلة ، وروحانية سامية ، متمشيا مع التطور الذي بلغته
البشرية قال « الدوس هكسلي الفيلسوف الإنجليزي ، - :

- « أن الأديان جميعها تهدف إلى تحقيق الرحمة ،
- « والأبشار ، ولكونها تختلف في المناهج والمبادئ ،
- « طبقا لسنة التطور البشري . . . والإسلام جاء ،
- « بعد أن تطورت البشرية ، وبلغت رشدتها ،
- « وإذا كان ديننا عاما ، ورحمة للناس كافة .

تطهير العقيدة

والإسلام وجهات سامية يقصدها بدعوته - كتطهير عقيدة
الإنسانية ، ولهذا . وضع نصب عين المؤمن ألا يشرك مع الله غيره
في عبادته - وفي بذله وعطائه ، وفي تضحيته وجهاده . . . ففي حديث
مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أول من يدعى به يوم القيامة رجل جمع القرآن . ورجل ،
 « قتل في سبيل الله . ورجل كثير المال . فيقول الله تعالى ،
 « للقارى . . . : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى ؟ فيقول ،
 « بلى يارب . فيقول - : فاعملت فيما علمت ؟ فيقول : كنت ،
 « أقوم به آفاء الليل . وآفاء النهار . فيقول الله تعالى له : ،
 « كذبت . وتقول له الملائكة : - كذبت . ويقول الله ،
 « تعالى له : بل أردت أن يقال فلان قارى . . وقد قيل ،
 « ذلك - ويؤتى بصاحب المال . فيقول الله تعالى له - : ألم ،
 « أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد ؟ فيقول : بلى ،
 « يارب . فيقول فاذا عملت فيما آتيتك ؟ فيقول : كنت ،
 « أصل الرحم وأتصدق ، فيقول الله تعالى له : كذبت . ،
 « وتقول الملائكة : كذبت . ويقول الله تعالى : بل أردت ،
 « أن يقال : فلان جواد . وقد قيل ذلك . ثم يؤتى بالذى ،
 « قتل في سبيل الله . فيقول الله تعالى : فيماذا قتلت ؟ - فيقول : ،
 « أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله ،
 « تعالى : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت : ويقول ،
 « الله تعالى : بل أردت أن يقال فلان جري . . وقد قيل ،
 « ذلك ... ثم ضرب رسول الله على ركة أبي هريرة . فقال : ،
 « يا أبا هريرة : أولئك أول خلق الله تسع بهم النار يوم ،
 « القيامة قال راوى الحديث « شفى الأصمعى ، فأخبرت ،
 « معاوية ... بهذا الحديث فقال : قد فعل هؤلاء هذا . فكيف ،

« بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظن ،
 « أنه هالك ، ثم أفاق ومسح عن وجهه . وقال صدق الله ،
 « ورسوله ... من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم ،
 « أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم ،
 « في الآخرة إلا النار . وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا ،
 « يعملون . »

واعظم عناية الاسلام بتطهير العقيدة وربط الانسان بخالقه مباشرة
 بلا وساطة ولا شفاعة ، اذ يقول جل شأنه في محكم كتابه - « فما تنفعهم
 شفاعة الشافعين » - اذ ما عبد القدماء الأصنام والتماثيل ألا عن طريق
 اتخاذ الأفراد شفعا لهم بعد تقديسهم ... روى البخارى عن طريق
 ابن عباس « أن هذه الأسماء التي وردت في قول الله تعالى - :
 « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ،
 « ولا يغوث ويعوق ونسرا ... كانت لرجال صالحين من ،
 « قوم نوح ماتوا . فأوحى الشيطان إلى الناس أن انصبوا ،
 « في بحالهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ،
 « ففعلوا . ولكن لم يعبدوها : فلما هلك الذين أقاموها ودرس ،
 العلم عبدها الناس ، وروى عن عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه . أنه علم يقوم يصلون تحت شجرة البيعة تبركا بها فأمر
 بقطعها ، . . . وهل بعد أن وساطة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لعمه أبي طالب لم تغن عنه شيئا وإنما إيمانه وعمله هما اللذان
 كانا يغنيان عنه . . . فسلم الأمر لربه حين خاطبه في شأنه قائلا : -

« أنك لا تهدي من أحببت وليكن الله يهدي من يشاء ،
على أن الرسول الأعظم قد سد هذا الباب الذي تدخل منه الفتنة .
وبترتب عليه التفريق في الدين . وذيوع الأهواء الفتاكة بجوهر العقيدة .
وذلك بقوله لابنته فاطمة رضى الله عنها ،

« أعملى يا فاطمة فأنى لا أغنى عنك من الله شيئا ،

فاذا كان قد جد في المسلمين من يقدر فردا أو يقدر مكانا على
اعتبار أن لمن يقدره بدا فعالة في العطاء أو الحرمان فما ذلك إلا من
البدع التي دخلت على الإسلام بطريق العدوى من الطقوس المسيحية
التي وصلت برجال الكنيسة قديما إلى الوساطة في العفو عن المذنبين ،
ودخولهم الجنة . وبيع صكوك الغفران لهم ، والتي من أجل القضاء
عليها قام « لوثر » بثورته . وما كان المسلمين أن يتأثروا بذلك - خاصة
ومصاحب الرسالة نفسه يقول له رب العزة - :

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله . ،

« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما ،

« مسنى السوء أن أنا ألا نذير وبشبر لقوم يؤمنون ،

أما الاتصال بالأولياء الذين على قدم الرسول ﷺ ، والذين
جاهدوا أنفسهم بالذكر والعبادة حتى صفت أرواحهم ، فإنه يكسب
روح المتصل مددا إلهيا ينشلهم من وهدة المادة ... على أن هؤلاء الأولياء
الواصلين يتبرؤون من حولهم وقوتهم ، ويحاولون إخفاء كراماتهم
التي يظهرها الله على أيديهم قهرا عنهم أكراما منه سبحانه وتعالى لهم ،
خاصة بعد انتقالهم إلى العالم الثاني . إذ الروح هي الجوهر العميق

الذى لا ينفعل للعناصر الأرضية. تكون مطلقة ، وبخاصة إذا كانت روح ولى أو شهيد - والموت فى الواقع ليس فناء واضمحلالاً وإنما هو انتقال إلى عالم آخر يلد للبرء أن يتصل به عن طريق مجاهدة النفس لحظات وهو حى ، ولقد أثبت علم استحضار الأرواح وجود هذا العالم الثانى حتى آمن به كثير من فلاسفة الغرب مثل : كيرسنج الألمانى ، وولز الأنجليزى وغيرهم .

* * *

العبادات وحكمتها

وانتهج الإسلام أيضاً - فيما سنه من عبادات - إلى ما يعود من آثارها النافعة على الروح والجسم معاً ، فى الوضوء والغسل طهارة وصحة ونظافة ، وفى الصلاة أنكار المعانى الذاتية الفانية التى هى مادة الشر فى الأرض فتستقر الروح لحظات فى حيز الخير المحض البعيد عن الدنيا وشهواتها . وحدودها المادية ، ساجدة فى روحانية لا يحد فيها إلا بالله وحده ... وفى الصوم فقراً جبارى . يشعر المسلم أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لافيهما . حين يتساوى الناس فى الشعور بألم الجوع . ويدركون أن نكبة الإنسانية من البطن . فيسدوا عليها كل مسارها فلا تنغذى . ولا يصل إليها شئ حتى الدخينة . ثم يطلق فيها صوت الروح بعلم الرحمة . ويدعو إلى العطف والبر والاحسان إلى الفقير والمسكين ، ثم يكرر الصوم ثلاثين يوماً يسدل الستار فيها على تاريخ البطن . ويرفع عن تاريخ الروح ، ثم هو فوق ذلك شهر صم يفرضه الطب كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة - بشرط أن يكون كهووم رسول الله ﷺ

وأصحابه تمرات تقيم الأود، أو ما يقوم مقام الترات وبذا تقوى
الارادة والعزيمة وتظهر أسرار الروح، ... وفي الحج قوة الوحدة
وتساند القوى، وتساوى الصغير بالكبير، فيفقد الكبير روحه .
ويجد التواصل نفسه . وتستشعر النفس المجتمعة في أنسانية عامة . روح
الآخاء والتعاون وتبادل الرأي والمنافع، كما تتلقى فيواضات الله في تلك
الآما كن المقدسة - وهكذا كل ماسن من عباده . وما شرع من
فريضة وسنة ...

* * *

المسئولية والجزاء

وكذلك اتجه الإسلام بالإنسان وجهة السكال فوضعه موضع
التكريم، حيث لم يجعل وجوده عبثاً، ولا عمله عبثاً، بل جعلهما
لعمار السكون، وتحقيق خلافة الله في الأرض على يديه، ثم لأعداده
لحياة دائمة في دار بعد هذه الدار ... ولهذا وضع مبدأ المسئولية،
فقال: « ما يلفظ من قول ألا لديه رقيب عتيد، وجعل خشية الله
قانون وجوده على الأرض، فمن أى عطفية التفت وجد ملائكين
يكتبان أعماله بخيرها وشرها محكمة ملائكية لا تفارقه ... وبهذا
الشعور الوجسدانى من خيوف المراقبة تتضام تلك النواميس
الحيوانية المجنونة فيه فيتغلب قانون التراحم والآخاء وحب الخير
والتفانى في المصلحة العامة على قانون التنازع الطبيعى ... ثبت
الإسلام كل هذا في النفس وعواطفها، في سرها وجهرها،
فلا يكون الإنسان في نظره فاضلاً بمشهوده حتى يكون كذلك

بغيبه ، وحتى يكون أقوى من الحاجة . فإن كان فقيرا تعفف ، وأن كان غنيا تصدق ، وأن كان قادرا عفا ... لأنه لا ينظر إلى الأمور بعين بصره . بل بعين بصيرته - ثم أن مبدأ المستولية ، هذا ، قد وضع الإسلام بجانبه ، مبدأ الجزاء ، فطبع الأعمال الصالحة بطابع الجنة ، وطبع الأعمال السيئة بطابع جهنم ، فالحساب واقع . والجزاء واقع . قال تعالى - :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . »

« ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . »

وأذا فلا بد للإنسان من العمل ، طبقا لوظيفته في الأرض وتطبيقا للأمر الإلهي الكريم - :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، »

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، »

وتنفذا للأمر النبوي الكريم - :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا . »

« واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، »

التصوف الإسلامي

وانتهى الإسلام أيضا إلى عدم الاغترار بالدنيا ، والافتتان بزخارفها ، وحث المسلمين على اعتبارها مزرعة الآخرة ، عارضا صورها الفانية في كتابه العزيز أذ يقول - :

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من ، »

« السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما ،
 « تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ،
 ولقد كان رسول الله ﷺ يزهّد في متاع الدنيا ويتقشف . حتى
 كلمه عمر في ذلك لما رأى الحصير قد أثر في جنبه . فقال له عليه
 السلام : مهلا يا عمر . أنظنها كسروية ؟ وكذلك كان الخلفاء الراشدون
 ومن تابعهم ، . . . ثم أقبلت الدنيا ، ودانت الممالك ، ورأى المسلمون
 لو نأمن أين الحياة بعد خشونة الصحراء فعاشوا فيه . ونسوا مبدء
 الدين الأول من البعد عن ترف الحياة ولها ، فقام دعاة للخير
 يزهّدون الناس وعلى رأسهم « الحسن البصري » الذي أخذ عن
 الصحابي الجليل « حذيفة بن اليمان » أول من تحدث في المعاني الوجدانية
 وأسرار القلوب . فنشأت بعد ذلك علوم التربية والسلوك . ومذاهب
 التصوف ... والتصوف مشتق من الصفاء . وغايته إدراك الحقائق
 الربانية . وانبعاث صورة رائعة للذات المقدسة ، يتجلى فيها الكمال المطلق
 عن طريق الزهد والعبادة ، وهذا الزهد زهد متزن يجمع بين الصفاء
 والعمل ، عكس روح الرهبانية في المسيحية كما يقول الدكتور
 « رينولد - ا - نيكلون » ، وعكس طريق الأشراق الذي هو تجريد
 النفس من الشواغل التي تقطعها عن الروحانيات بطرق قد لا تتصل
 بالعبادات كما يقول « أرسطو » ، إذ يدخل فيها السحرة والمشعوذون
 والمتصلون بالجن وغيرهم من الأرواح ... وقد قام التصوف على قواعد
 تتلخص في الجوع . والعزلة ، والصمت والذكر ، مع قلة النوم ، ومعرفة
 أسرار الشريعة ، وصحبة عارف بالله . . . كما قام جهاد النفس فيه على مراحل

يقطعها المريد ، وهذه المراحل تسمى « مقامات » ، كمقام الخوف .
ومقام الرضى . ومقام الحب . ومقام الصبر . ومقام الانس ، ولكل
مقام من هذه المقامات شعور خاص يستولى على المريد ، وهذا الشعور
يسمى عندنا بالاحوال . ولا بد للمريد من أن يستوعب كل مرحلة
من هذه المراحل . ويؤقلم نفسه بها لتستولى عليه الحالة الروحية الخاصة
بها ، إلى أن يصل في النهاية إلى حالة اتحاد بالعالم وبالله ، فيستحق بذلك أن
يكون عارفا ، تغلب عليه « حال الطمأنينة » ، التي عناها السيد محيى
الدين بن العربي بقوله - : متمشيا مع مذهبه في وحدة الوجود - :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة * فرمى لغزلان ودبر لرهبان
وبيت لاهوتان وكعبة طائف * وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت * كنتائه . فالحب دينى وإيمانى
ويقرر هذا ويثبتته الرئيس ابن سينا - في كتاب الأشارات - حيث يقول - :

« أن أثر المجاهدة النفسية في الوصول إلى ما يسمى في ،
« طريق القوم » بالمقامات ، و « الحالات » - وألى ،
« ما يحدث من الأذواق والوجدانات والسكرات ،
« والأخبار بالمغيبات . والتصرف في الكائنات صحيح ،
ثم فند رأى أبى اسحق الأسفرايينى فى أنكار ذلك ، وقرر أن
اللغات لا تعطى الدلالات الوافية على الحقائق العلمية التى تفيض بها
وجداناتهم - إذ أن الصوفية أرسخ قدما فى بحر المعرفة من الفلاسفة ،
فهم يرون الطبيعة كتابا مفتوحا من الله ، كتابا خطه القلم الإلهى ، فيفهمه
الواصل ويقراه من غير حاجة إلى لغة ولا ألفاظ ، وقد اعترف

الفلاسفة أنفسهم بذلك منذ قهر التصوف صنم الفلسفة الجبار واغتصب
منه مكانته في « نظرية المعرفة » ، حتى قرر الفيلسوف « كارادى فر » ،
أن فوق العقل أنواعا من المعارف يدفع إليها النفسك والعبادة والرياضة
الروحية ... وهذا الغزالي العالم الفيلسوف وقف به التفكير المنطقي
مواقف الشك والحيرة فلما انتقل من الفلسفة إلى التصوف قذف الله
النور في صدره وفتح له كنوز المعاني ، وهذا الامام الشيخ محمد عبده يقول :-
« أن الفضل في تكوين ذوق العلى والعرفان يرجع ،
« للتصوف الذى لازمتنى بركنه طول حياتى ، . . . ويقول الباحث النابه .
« المستر أدوارد روس ، فى كتابه « فلسفة الأدبان » ، - : « إن فى ،
« ظهور الفرق الصوفية فى الاسلام لشهادة على وجود الاتصال بكون ،
« أوثق . وبإله حتى يفيض الحب والنور والجمال ،
« والصوفيون الحقيقيون بفضل سبحات أرواحهم فى الملكوت
الاعلى فى نعيم غير منظور حتى قال قائلهم :-

« نحن فى لذة لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف ،
« وبمثل هذه الروح عاش المتصوفون الحقيقيون . فكان لهم فى
الدين مرتبة التحقيق ، وفى العلم مرتبة اليقين . وفى الأخلاق مرتبة
التفلسف ، وفى الإصلاح والأرشاد مرتبة الهداية ، وفى السياسة مرتبة
الصيانة ، كما حدث من رجال الطريقة النقشبندية فى مقاومة الاستبداد
الرومى فى البلدان التى يسيطر فيها سلاطانه على المسلمين . . . فأذا كان قد
جد فى المسلمين قوم يدعون التصوف على غير الرسوم السابقة فهم كالمبتدعة
الذين أسلفنا الكلام عليهم . وهؤلاء المتصوفة المبتدعون هم متصوفة

رسوم وأرزاق، اتخذوا من الخيال اليوناني الذي أسبغ أرديته على التصوف في فترات ضعف الإسلام ألوانا وصورا. كما اتخذوا مما أضفته الأقا صيغ الاسرائيلية ونزعات الرهبان والهنود أثوابا ثم أضافوا إليها خرافات وأضاليل، من نقر على الدفوف. ودق على الطبول، ورقص على نغمات الشادين.

لقد كان التصوف الحق قبل أن يدخل عليه ما دخل من هذه الأباطيل. هو المكان الصحيح للزهاد والمصلحين وأصحاب الدعوات عندما كانت الجماعات الإسلامية معرضة للخطر حيث كانوا يعدون أنفسهم عن طريقه على مسك المجتمع خوفا من أن تهوى به الأهواء، مرتفعين عن صفائر الدنيا. وسقامف المادة، مجاهدين أنفسهم رابطين بها ويمريديهم وأتباعهم عن بهارج الحياة وفيهم يقول أصحاب رسائل اخوان الصفا، - .

« الصوفية الحقيقيون، هم أسمى الناس. فليس يذكر في،
« مجلسهم إلا الله... وهم أولو الألباب الذين يقول الله في شأنهم،
« مخاطبا إبليس - : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان... »،
« والذين يقول فيهم الرسول عليه السلام، « لا بني هريرة - : »،
« عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام أذا فرغ الناس لم يفزعوا،
« وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا. قال - : »،
« من هم يا رسول الله؟ صفهم لي حتى أعرفهم. قال - : قوم،
« من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشرون،

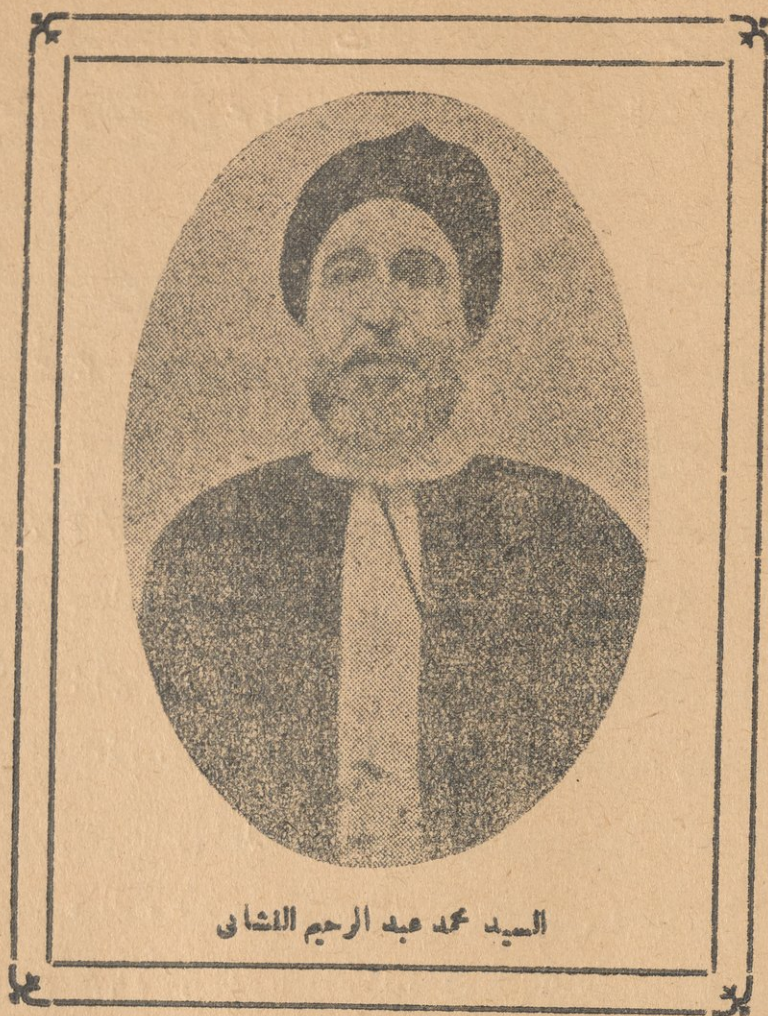
« الأنبياء . إذا نظر إليهم الخلاق ظنهم أنبياء حتى أعرفهم ،
 « بسياهم فأقول : أمتي . أمتي . أيعرف الخلاق أنهم ليسوا ،
 « بأنبياء . ويمرون مثل البرق والريح . يغشى أبصار الجميع ،
 « نورهم . قال أبو هريرة : قلت - : يا رسول الله . مرني ،
 « بمثل عملهم لعل الحق بهم . فقال الرسول : يا أبا هريرة . ،
 « أن القوم ارتكبوا طريقا صعبا . لحقوا به بدرجة ،
 « الأنبياء . آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله . والعري بعد ،
 « ما كساهم الله . تركوا ذلك رجاء ما عنده الله ، تركوا الحلال ،
 « مخافة حسابه . صحبوا الدنيا بأبدانهم من غير أن تعلق ،
 « بشيء فيها قلوبهم . تعجب الأنبياء والملائكة من طاعتهم ،
 « لرهبهم . فطوبى لهم . وددت لو أن الله جمع بيني وبينهم . ،
 « ثم بكى رسول الله شوقا إلى رؤيتهم .

وهؤلاء المتصوفة الذين على قدم أهل الحق العارفين بالله هم

الذين ينطبق عليهم قول القائل - :

ليس من نوه بالوصل له	كالذي سيريه حق وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي	طرق الباب والدار دخل
لا ولا الداخل عندي كالذي	أجلسوه عندهم في المستهل
لا ولا من أجلسوه كالذي	سارروه فقدا السر محل
لا ولا من سارروه كالذي	صار أياهم فدع عنك الجدل
ذاك شيء علق القلب به	ما تبدي بعضه إلا قتل

وعلى رأس هؤلاء الصوفية الذين اتصلت بهم في صدر حياتي ،
وشاهدت كأن نورا من الملائكة الأعلى يسمى بين أيديهم كلما سمعوا -
المعارف بالله ، السيد محمد عبد الرحيم النشائي ، أبو المعارف



فقد كان يغترف من بحرين ، بحر الشريعة وبحر الحقيقة ، وكان يعلم
بالنظر ، ويرشد بالمدد ، ثم يهبط على مرئيه بروح الغيث ، ويخطو
بهم في طرق الملائكة .

الفتوى الإسلامية

وليس دعوة الإسلام مقصورة على ما سبق بل هي تنظم الحياة الدنيا وشمونها على أساس العدل الاجتماعي الذي لا يتحقق إلا بتشريع حكيم . وحكم عادل ، ومحو ثلوث الأحقاد الاجتماعية من الجهل . والمرض . والفقر من محيط المجتمع إلى غير ذلك من الشئون .

* * *

أما التشريع فقد سنه مشرعه الأعظم سبحانه على أساس المصلحة ورفع الحرج . والتمشي مع الزمان والمكان وسنة التطور - ولهذا جعل باب الاجتهاد مفتوحا - بدليل أن رسول الله ﷺ لما أرسل أبا موسى الأشعري إلى أهل اليمن ليقتضي بينهم . قال له : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد برأى ، فأقره الرسول على ما قال . . . ولما ولي أبو بكر الخلافة بعد الرسول ﷺ كان النظام الذي اتبعه في الفيء ، هو تقسيمه بين الناس ، فلما خلفه عمر اجتهد بعد استشارة أهل الرأي فيما يصنع به ، فأداه اجتهاده إلى أن يخصص بعضا منه لسد الثغور . والبعض الآخر للزينة والأراذل في كل بلد من بلاد المسلمين . أما الأرض فتبقى بيد أهلها ، كما اجتهد في عدم قطع يد السارق حينما اشتدت المجاعة عام الرمادة - واجتهد عثمان في مسألة العفو عن القتال - وذلك - عندما قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، الهرمزان - وجفينة . وابنته - بعد أن قتل أبو لؤؤة المجوسي أباه عمر ، وقدم عبيد الله للمحاكمة . فقال الناس : أيقتل عمر بالأمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟

ووقف عمرو بن العاص خطيباً مدافعاً عنه ثم قال : حدث هذا يا أمير المؤمنين وليس الأمر في يدك . فعفا عثمان عن عبيد الله ، ودفع الدية عن الجارية والرجلين من ماله الخاص لأهل القتل . وكان هذا اجتهداً منه - ثم أن لولى الأمر أن يحدث أفضية بقدر ما يحدث من المشكلات إذا كان في ذلك مصلحة ... ولا اعتبار تغير الزمان والمكان وتطور البيئات واختلافها وضع الإمام الشافعي مذهبين . مذهباً بالحجاز يتفق مع بيئته ، ومذهباً بمصر يتفق مع بيئة مصر ... ولما كانت الشريعة الإسلامية شريعة حياة فياضة . فقد جعلت من مبادئها أن تدرأ الحدود بالشبهات ، قبل أن يعتبر المنحضرون ، القانون في صالح المتهم ، بأمد بعيد . وحظرت الخمر قبل أن يحظرها الأمريكان بأمد بعيد ، وحرمت الزنا قبل أن يضح منه الإنجليز بأمد بعيد ، ووضعت من القوانين العامة في الجنايات والمعاملات . ونظام الأسرة من زواج وطلاق وميراث ماوسعته الأحاطة والتنظيم ، حتى أخذ بها كثير من الأمم ، وقد روعى في هذا التشريع التقليل من التقنين حتى يقتصر في كل عصر على تشريع ما تقتضيه حاجاته ، ولا يجد اللاحقون في تشريع السابقين من العقبات ما يحول دون ما يقتضيه التطور الجديد ... وللقيمة العليا لهذا التشريع أقره العلماء الأوروبيون وعلى رأسهم المستشرق الإنجليزي ، سيمون أوكل ، وقال فيه العلامة أدوارد لامبير ، في كتابه تاريخ القانون المقارن ، :

« أن التشريع الإسلامي من أفضل التشريعات ،

« ويرجع الفضل في ذلك إلى تعدد مصادره . »

« واتساع مراجعته . وأتقان أدواته ... »

كما قرر ، مؤتمر القانون الدولي المقارن ، صلاحيته للزمان والمكان
وسنن التطور .. على أن المسلمين مع الأسف في كثير من فترات
الضعف وقفوا أزامه جامدين . فاضطر الحكم قديما وحديثا إلى
أن يقتبسوا كثيرا من قوانيننا ونظمنا من أوروبا اقتباسا أضر
بقوميتنا . ومقومات حياتنا . ولهذا أصبح من الواجب على طائفة من
مشرعينا أن يعيدوا النظر في الأحكام الاجتماعية لجعلها ملائمة للعصور
والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من
الفقهاء . فإن لم نفعل كان الدين عرضة للنفور منه . والابتعاد عنه
خاصة وديننا ليس كالأديان الأخرى التي فصلت الدين عن السياسة
والاجتماع ، لأن تلك الأديان اقتصرته على تنظيم العلاقات بين العبد وربّه
ولم تمس أمور الدنيا . بل إن منها ما دعا إلى الرهينة والابتعاد عن الدنيا
أما الإسلام فقد نظم أمور الدين والدنيا معا . ولذلك فإن هذه الثورة
الاجتماعية العظيمة قد مكن لها الإسلام في جميع العصور بما وضع
من المبادئ العامة التي يجب أن تكون سنن الاجتماع في كل أمة .
وفي كل عصر . كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل - ولنا في حرية
الفكر التي أباحها الإسلام . وروح المرونة التي اتصف بها ما يمكننا
من مواجهة المدنية الحديثة . وما أحدثت في العالم من مبادئ ومخترعات
وصناعات ومعاملات ، ونظم الحكم . ومذاهب اجتماعية - بما يتفق
ومبادئ الإسلام وأصوله ... وتاريخ الاجتماع الانساني . والحضارات
الإسلامية المتنوعة أصدق شاهد على ما نقول ... فلقد بلغت الدولة

الاسلامية في عصرها الذهبي مبلغا عظيما من السعة والحضارة ووفرة العمران، وسمت إلى ذروة المجد في الغنى والقوة والعلم وكل مظاهر العزة والسلطان . حيث انتظمت في ذلك العهد دويلات متعددة في آسيا وأفريقيا وحيث امتدت رقعتها من بلاد الصين شرقا إلى بلاد أسبانيا غربا وكان البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية اسلامية تخفق راية الاسلام على ممالكه وشعوبه ونغوره، وكان في هذه الدولة المتباعدة الاطراف عدة اجناس من الامم من عرب وروم وفرس وبربر وغيرهم . وكان لهذه الشعوب المختلفة اديان متعددة . ومصالح وعادات حسب ما تقتضيه البداوة، واغيرهم ماورثوه من عهد الامبراطورية الرومانية . وماورثوره من عهد الامبراطورية الفارسية . وما بقى من أجيال طويلة من عوامل عديدة . ومع ذلك فقد اديرت كما يقول العالم المحقق الشيخ عبد الوهاب خلاف شئون هذه الدولة على سعتها واختلاف أممها بقوانين اسلامية في كل أمورها الدينية والدنيوية . ولم تضق بحاجة من حاجات تلك الامم، ولم تقصر عن مصلحة من مصالحها الاجتماعية المختلفة... والبصراء من مفكرى الغرب يطأطئون رؤوسهم لتشريعنا . ويقتبسون منه الحلول لكثير من مشاكلهم بعد أن ثبت لهم أنه التشريع المبني على الانسجام والتوازن بين مطالب المادة ومطالب الروح .

وما يناسب هذا المقام ماقلته من قصيدة - حينما كنت مدرسا بالسودان - بمناسبة افتتاح السنة الدراسية بالمعهد العلى الدينى - بأم درمان - على لسان الشريعة الاسلامية الغرام :-

أنا اللؤلؤ المسكنون والجوهر الغالى أنا الكوكب الوضاء فى أفقه العالى
رسمت طريق المجد والرشد والعلا وحضنت صرح الملك بالعلم والمال
ووفقت بين الدين والرأى دائما وأضفيت ذيل الطهر فى كل أعمالى
وأصلحت حال الناس فى كل موطن بروحى وشرعى، وهدى وأفعالى

فأبال قومي نضر الله وجههم رموني بداء العقم والمنطق البالى ؟
أنشر ظلى يوم لا ظل وارف وأمنع فى ذا العصر من نشر إطلالى ؟
أشعل مصباحى وقومى بنجوة يسرون خلف الغرب فى تيهه الحالى
فمرغ رايات الكرامة فى الثرى ودك الصروح الشم بالحق والال
وصير هذا الجيل مضى مبللا تحيره دنيا ضلال وإضلالى
وأذكر لبيب الحرب فى الأرض كلها يحنل أبطالا ويودى بأبطال

فيا ليت شعرى هل أرى اليوم مصلحا يسير على نهجى ويوحى بآمالى ؟
وينشر فوق الشرق والغرب رايتى وينضوئام النور عن عهدى الخالى
فأهدى الحيارى الهائمين إلى الهدى وأروى العطاشى من رحيق ومسال

نظام الحكم فى الإسلام

وأما الحكم فقد وضع الإسلام نظامه على أساس الشورى . قال تعالى :- : فيما رحمة من الله إنك لم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا ، من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى ،

« الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ،

وقال - : « وأمرهم شورى بينهم ،

ولما كان الإسلام لا يقر الفرضي كان تنصيب ولي الأمر المنتخب

من ذوى الرأى ضروريا . فقد ورد في حديث شريف - :

« إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه ،

والحكم في الإسلام بدأ برسول الله ﷺ . على أنه لم يكن ملكا

ولا دكتاتوريا ولا رئيسا . وإنما كان بشرا رسولا ، يدل على ذلك

قوله لمن خافه وتهيبه عند ما دخل عليه - :

« هون على نفسك . أنا است بملك وإنما ،

« أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد . ،

ومع ذلك فقد كانت في يده عليه السلام السلطات الثلاث . سلطة

التشريع . وسلطة القضاء . وسلطة التنفيذ ، واسكنها كانت سلطات إلهية يوحى

إليه في شأنها . ثم لما انتقل عليه السلام إلى الرفيق الأعلى كانت الخلافة . . .

والخلافة هي النيابة عن الرسول ﷺ في تولى شئون المسلمين - ولما

كان الإسلام دين الشورى والرأى الحر . لم يبرم النبي قبل موته فيها

أمرا ، بل جعلها شورى . فاجتمع ذوو الرأى من المهاجرين والأنصار

بعد وفاته عليه السلام ، بدار السقيفة ، واختاروا « أبا بكر ، خليفة

وبايعوه ، فقام بالأمر خير قيام ، وأخذ رضى الله عنه يباشر شئون

الخلافة احتسابا لوجه الله لا يأخذ عليها أجرا ، بل كان يعيش على مال

تجارته ، إلى أن اجتمع الناس حوله . وفرضوا له قوته . وقوت أهل

بيته من بيت مال المسلمين على أن يترك التجارة ويفرغ لشئون

الحكم فنزل عند رأيهم . ومع هذا فقد أوصى عند ما حضرته الوفاة
 برد جميع ما أخذه إلى بيت مال المسلمين - وعهد إلى عمر بن الخطاب
 بالخلافة بعده فولياها ولاية حكيمة يقظة حتى أن الأمر كان مستقباح
 امتداد دائرة الفتوح واتساع رقعة الدولة - ولما رأى عمر أنه ماض
 إلى ربه بعد أن طعنه ، أبو لؤلؤة المجوسي ، بخنجره ترك أمر اختيار
 الخليفة شورى بين فريق من الصحابة المبشرين بالجنة فاختراروا عثمان
 ابن عفان ، - وأخذت الفتنة تدب بين المسلمين فتسور عليه منزله وهو يتلو
 القرآن جماعة نائرة وقتلته فتولى د علي ابن أبي طالب ، وكانت دنيا
 غير دنيا من سبقه فركبت د عائشة ، الجمل ضده . وامتنع د معاوية بن
 أبي سفيان ، عن مبايعته . فلما قتل د علي ، يد د عبد الرحمن بن ملجم ،
 رأى ابنه د الحسن ، رضى الله عنه بنظره الثاقب أن يقطع حبل الفتنة
 والانقسام فتنازل لمعاوية ، عن الخلافة . فسمى هذا العام د عام الجماعة ،
 وفيه انقضى د عهد الخلافة ، وبدأ د عهد الملك ، وتحقق قول الرسول
 عليه السلام : د الخلافة بعدى ثلاثون ، ثم تكون ملكا عضودا ،
 وكان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم يستمدون سلطانهم من
 قوة الدين ، وأمانة الشورى . وطهر السياسة . فلما جاء عهد الملوكية
 جاء معها الانحراف شيئا فشيئا عن سنة الخلافة في روحانياتها . وطهر
 سياستها إلى الأخذ بمبدأ د الميسكيا فيلية ، وهو المبدأ القائل - :
 د بأن الغاية تبرر الوسطة ، فكانت المرونة في الدين ديدنها ، ألا
 في عهد ملا الله قلب ملوكها بالتقوى مثل د عمر بن عبد العزيز ،
 وأشباهه ، وهم قليلون ، على أن هذه الملوكية التي قامت بعد الخلافة

كانت تسدل على نفسها ثوب الخلافة لتحتمي بها ، وتستمد من معناها
الديني قوة لتدعيمها إلى أن أغار التتار على : بغداد ، وقضوا على
الدولة العباسية . فاحتلت الملوكية القائمة إذ ذاك بمصر بالخلافة ، أو
بالحرى احتلت الخلافة الفارة من بغداد بالملوكية المصرية فرحبت
بها وظلت فيها حتى وقعت مصر في يد الترك بغزو السلطان سليم
الاول ، لها فآلت إلى آل عثمان وصار سلطانهم يلقب بملك المسلمين .
وخليفة رب العالمين ، إلى أن قضى على الملك والخلافة معا : أتاتورك
مصطفى كمال ، وأقام على أنقاضها : الجمهورية التركية ، وصار أمر
الخلافة والملك ، وسطوة آل عثمان في الغرب والشرق ، وفي البر
والبحر ، وفي السلم والحرب ، كما قال القائل :-

« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا . أنيس ولم يسمر بمكة سامر ،
... أجل . قضى مصطفى كمال ومن معه من رجال الانقلاب على الخلافة
والملك سائرين في شحوب الأصيل على حدود المغرب . هارين من
نور النهار ، طامسين الطريق من الورا حتى لا يرجعوا إلى الأهل
والخلان غير عابئين بالعقيدة واللغة وقضايا التاريخ ، مدعين أن
الخلافة والملك هما اللذان أوردا تركيا موارد الهلاك ، بعد أن عانت
على يديهما الدساتير والفتن وضروب الانحلال والخذلان ، ويشهد
الله أنهما لم يوردا تركيا كل هذه الموارد ، وإنما الذي أوردها ذلك كله
إنما هو النظام الفاسد الذي جرت عليه منذ القرن السادس عشر . وهذا
النظام هو الجود ، وعدم مسايرة النهضة الأوروبية والحركة العلمية .
فحجبت عما كانتا عن العلم والنور حتى فرخ الجهل الدهر وعشش في ربوعها .

كما تركت يد الانحلال تدب في الجيش ، و الرشوة تعمل عملها علنا
وعلى مرأى ومسمع من الكبير والصغير . وكذلك تركت الأجانب
يفعلون أفاعيلهم في قهصم ظهرها . وأخذ الامتيازات لرعاياها منها .
واقعد كان كل هذا يحدث و دوى العهد ، الذى هو د خليفة المسلمين ،
و د ملكهم المنتظر ، سجين فى قصره ممنوع من الاتصال بالناس .
محاط بالجواسيس . بعد أن كان النظام المتبع أيام عز الترك وسطوتهم
يقضى عليه بأن يتدرب فى صفه على حكم الولايات وقيادة الجيوش .
فكانت نتيجة هذا النظام أن تقلص ظل آل عثمان ودولتهم . وأخذت
الولايات تضيق ولاية فولاية ثم آلت إلى ما يؤول اليه السكان الحى
الذى لا يصلح للبقاء .

ولقد أحاط الإسلام الحكم بسياج من العدل إذ لا فرق عنده
بين رفيع ووضيع ، وما ورد فى ذلك أن د فاطمة المخزومية ، وهى
من ذوات الشرف والنسب سرقت ووجب عليها الحد ، فتوسل أهلها
إلى رسول الله ﷺ د بأسماء بن زيد ، رجاء أن يعفو عنها . فقال
النبي عليه السلام لأسماء :-

د أتتكم فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب . ،
د وقال : أيها الناس . إنما ضل من قبلكم أنهم ،
د كانوا إذا سرق الشريف تركوه . وإذا سرق ،
د الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله . لو أن ،
د فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ،

وكذلك ما ذكره رواية التاريخ من أن جبلة بن الأيهم ، آخر
ملوك غسان أسلم على عهد عمر ، وبينما هو يطوف بالسكبة أذ داس
على أزاره ، فزارى ، ، فالتفت إليه جبلة ولطمه على وجهه . ورفع
الامر إلى عمر ، فقال له : لا تطعمك كما لطمته ، فعز عليه ذلك . وطلب
أن ينظره عمر فأنظره . وفي الليل هرب وتنصر ، ثم ندم وأنشد : -
« تنصرت الأشراف من أجل لطمة » وما كان فيها لو صبرت لها ضرر ،
« تكسفنني منها لجاج وغلظة » وبعث بها العين الصحيحة بالهجر ،
« فليت أمة لم تلدن وليتني » رجعت إلى القول الذي قاله عمر ،
وكان رضى الله عنه لا يرى أن لأرادة الانسان أثرا في شيء ، بل إن
الفاعل هو الله ، ولذلك فإنه عند ما ولي الأمر عزل خالد بن الوليد ،
ثم أذاع في الناس وكتب إلى الأمصار : -

« أنى لم أعزل خالدا عن سخط ، ولا عن خيانة . واسكن ،
« الناس فتتوا به تخفت أن يفتن بنفسه . وأحببت أن ،
« يعلموا أن الله هو الفاعل .

وكان الحكام المقدرين للمسئولية يوم الجزاء يستدعون من
بنيهم . ويعظمهم ويرشدوهم إلى ما يجب أن يتبع ، كما كان يفعل سليمان بن
عبد الملك . فلقد استدعى « أبا حازم ، الزاهد وقال له ، عظمي . فلما
وعظه بكى وقال له : سل حاجتك . فقال رفعتها إلى من هو أقدر
منك عليها . فما أعطاني منها قبلة . وما منعتني رضى
وكذلك كان الحاكم أيضا يخضع لحكم الشريعة ولو على نفسه حتى

ولو كان فيه ازدرام واحتقار ، فإن العز بن عبد السلام ، لما ألقى
ببيع أمراء المماليك ورؤسائهم لأنهم اشتروا بمال المسلمين ، خضع له
السلطان وألزم الأمر والرؤساء بأطاعته لأن هذا هو حكم الله ، وفعلا
نادى عليهم الشيخ واحدا . واحدا ، وغالى في ثمنهم ثم أعتقهم بعد أن
قبض ثمنهم ورده الى بيت مال المسلمين .

* * *

... وكانت الولاية ، تعتبر مستوية . لا وظيفة ترف وشرف
قال عمر بن الخطاب :-

« لو أن جملا هلك ضياعا بشطر الفرات ،

« لخشيت أن يسأل الله عنه ابن الخطاب ،

وقال عمر ابن عبد العزيز

« ألا أنى است بخيركم . واسكنى رجل منكم ،

« غير أن الله جعلني أثقلكم حملا ،

وأن مبدأ من أنى لك هذا ؟ ، جاء به الإسلام ، فلقد حدث

الرواة أن عمر بن الخطاب ، أرسل إلى عمرو بن العاص يقول له :-

« أنه قد فشيت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية ،

« وحيوان لم تمكنك حين وايت مصر ، فمن ،

« أين لك هذا ؟ . . . ثم قاسمه ماله . . .

* * *

وكان الحكم ذوو البصر في إدارة شئون الدولة يقدمون الأكفأ.

المناصب . وإن كانوا غرباء ، فقد حدثوا أن أبا جعفر المنصور قال
للربيع حينما طلب منه أن يولى أحداً قاربه - أى المنصور - :
« ياربيع . أن لا اتصاله حقاً فى أموالنا لا فى أموال الناس ،
« وأعراضهم . أنا لا نولى للحرمة والرعاية . بل للاستحقاق ،
« والكفاية . ولا تؤثر ذا النسب والقربا على ذى المعرفة ،
« والدراية . . . وذلك عملاً بالحديث الشريف : أئما رجل ،
« استعمل رجلاً على عشرة أنفس . وعلم أن فى العشرة ،
« أفضل ممن استعمل فقد غش الله . وغش الرسول . ،
« وغش جماعة المسلمين . »

والخلاصة أن أولئك الحكام المصلحين ما رضوا أن يولوا من لا يصلح
للولاية ، أو يستقضوا من لا يصلح للقضاء ، مستمسكين بما وضعه
الاسلام من القواعد والتعاليم فى كل من « باب الولاء والولاءة ،
و « باب القضاء والقضاة ، فدانت لهم الدنيا وأهلها ، فلما مالوا مالت
بهم الأيام .

مشكلة الجهل وكيف عالجه الاسلام ؟

من أخطر مشاكل المجتمع « مشكلة الجهل » ، ولذا كان أول
ماعتنى به الاسلام القضاء عليه . فجعل العلم فريضة على كل مسلم
ومسلمة ، كما جعله من جملة فداء أسرى بدر ، وذلك بأن يفقدى الأسير
المتعلم نفسه بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة

والعلم متشعب النواحي . متسع الدائرة ، ولذا حث القرآن
الكريم على الاستزادة منه . قال تعالى :-

« وقل رب زدني علما » وقال أيضا :- « وما أوتيتم من العلم إلا
قليلا » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :-

« تعلموا العلم . فإن تعلمه لله حسنة ، ودراسته تسبيح ،

« والبحث عنه جهاد . وطلبه عبادة . وتعليمه صدقة ،

« وبذله لأهله قربة .

... ولقد كانت دوره أبان عصور الإسلام الذهبية مفتحة

الآبواب للناس جميعا ، وكان يترك للطلاب حق الاختيار حسب

الميول والمواهب ، وكان يقوم على حرية البحث والمناقشة ، وفي هذا

من الثقة بالنفس والاعتماد بها ما يوسع الملكات ، ويشجع الهمم .

وكان للعقيدة الدينية أثر في الانكباب عليه ، وذيوعه ونشره ،

لدرجة أن ظهر من النابغين من ضربت بهم الأمثال - ولدرجة أن

برزت المرأة العربية في كل فن ، وكل علم ، مما لم يحدث مثله لا في عهد

الأغريق ، ولا في عهد الرومان ، ولا في عهد المسيحيين في العصور

الوسطى ، ولقد كان « جماعة أخوان الصفا ، و«مكتاب» بغداد ،

وسمرقند . وبخارى . وقرطبة . والقاهرة ، يد طولى في نشر العلم ، كما

كان لمدارس الطب والحكمة والعلوم في العواصم الإسلامية أثر في

حفظ الحضارة ونموها ... وعن ضربوا بسهم صائب في النبوغ ،

أبناء شاكر الثلاثة . . والبيروني في الرياضة ، والخوارزمي في الجبر

والزرجاني في الفلك - والسكندري . والفارابي . وابن سينا . في الفلسفة

- وساعد بن بشر في الطب - وغيرهم مما لا يتسع المقام لذكرهم - ذلك لأن الاسلام لم يعاد العلم . ولم يختلف معه . لما للعلم من الأثر في الكشف عن الأسرار الإلهية . وتسخير الكون وما فيه .

مشكلة المرض وكيف طالجها الاسلام ؟

والمرض أيضا مشكلة اجتماعية تفت في عضد الأفراد والجماعات . ولذا شرع الاسلام مبدأ الوقاية من المرض أولا - ثم العمل على إزالته ثانيا - . ومن أجل ذلك كانت تشريعاته كلها تتفق مع سلامة الروح والبدن معا - فلقد قرر الوضوء وطهارة البدن والثوب قبل أن تقرر البكتريولوجية ، و البايولوجية ، وجوب النظافة كوسيلة لمنع انتقال الميكروبات المرضية وتسربها إلى أعضاء الجسم . وقرر السواك قبل أن يقرر علم طب الأسنان أن ترك بقايا الأغذية بين الأسنان بدون إزالة مباءة لميكروبات التسوس ، والميكروبات التي تنتقل إلى المعدة - وقرر الحجر الصحي ، وأمر بالبعد عن مصادر العدوى قال عليه السلام - :

« اتقوا المجدوم كما يتقى الأسد ،

وقال - :

« وكلم المجدوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين ،

وقال - :

« لا يورد مريض على مصح . وأن الجرب الرطب ،

« قد يكون بالبعير . فإذا خالط الأبل . أو حككها ،

« أو آوى إلى مباركتها . وصل إليها بالماء الذي يسيل منه ،
وقال - :

« إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تقربوها ،

« وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها ،

ولقد عمل عمر بن الخطاب بهذا عند ما خرج إلى الشام مع قوم
من المهاجرين والأنصار . فإنه لما اقترب منها قال له بعض أصحابه : إن
الوباء منتشر بأرض الشام فنأدى في الناس قاتلاً ، أنى مصبح على ظهر
فأصبحوا عليه ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله ؟
فقال : نعم . نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرايت لو كانت لك أبل
هبطت وأديا له عدوتان . أحدهما خصبة . والآخرى جدبة . أليس
أن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله . وأن رعيت الجدبة رعيتها بقدر
الله ؟ ... ولم يقف الإسلام عند هذا الحد بل قرر لترويض الجسم
وتقويته - الرمي . والسبق - كما قرر اعتزال النساء في الحيض وأشباهه
لمنع الأذى قبل أن يقرر « علم البكتريولوجيا ، و « الفسيولوجيا ،
وجود ميكروبات ضارة مؤذية لدى المرأة أبان ذلك ...

مشكلة الفقر وكيف حلها الإسلام ؟

عالج الإسلام الفقر بعلاجين - علاج للفقر وعلاج للمجتمع ،
لأنهما في نظره وحدة متماسكة فيجب أن يتلاءما حتى يقوى الارتباط
ويتحقق التآخي والتعاون ، ولذلك بث في نفوس الأغنياء أن الأموال
التي في أيديهم مأمى إلا وديعة استودعهم الله أيها ، واستخلفهم في

حفظها وأدارتها وتوزيعها على الفقراء وفي وجهات الخير التي شرعها
الله سبحانه ، حيث يقول - :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ،
فالفقراء في مال الأغنياء حق معلوم . هو ربع العشر في المال وما
يقدر بنحو ذلك في غيره . وربع العشر هذا هو الزكاة التي هي الركن
الثالث من أركان الإسلام الخمسة لا يكمل للمسلم دينه إلا بأداها ، ولم
يقف الإسلام بالنسبة للفقراء عند فرضها . بل شرع للبر في العبادات
والمعاملات موارد لا بأس لها ماء ، ولا ينقطع لها رافد - ... بحيث
الرجل في يمينه فيكفر بأطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم
أهله ، أو كسوتهم . أو تحرير رقبة - ويقسم ألا يفعل شيئاً ثم يرى أن
فعله خير من تركه فيكفر بأطعام المساكين ثم يفعله - ويظهر من
زوجته ثم يبدوله أن يعود ، فيطعم ستين مسكيناً . أو يحرر رقبة .
- ويرى فيقتل نفسه من غير عمد فيطعم أو يعتق فضلاً عن أداء الدية
- ويعجز عن صوم رمضان اسقم أو هرم فيفطر ويطعم عن كل يوم
مسكيناً - ويفطر عامداً في رمضان من غير علة فيطعم ستين فقيراً . أو
يفك رقبة . مع قضاء اليوم - ويخيل الحاج بشرط من شروط
الحج فيكفر عنه بذبح بقدمه المساكين - ويتجرد الحاج عن المخيط
فإذا لبس شيئاً منه لزمته الفدية - ويرزق الرجل غلاماً فيعق عنه
بذبيحة يطعمها الفقراء يوم أسبوعه - ويقبل عيد الفطر أو عيد
الأضحى فيجب على الأغنياء أن يرفهوا عن الفقراء بزكاة الفطر ولحوم
الأضاحي - وينذر المسلم نذراً فيوجب الدين عليه أن يني به برأ

بالفقراء . وعونا للمساكين - وجاءت الشريعة بالوصية لمن حضره الموت ، وذلك بأن يوصى بثلاث ماله لوجوه الخير . فضلا عن الوصية للوالدين والأقربين - ويمعز الرجل عن تكاليف العيش فيوجب الدين على من يرثه بعد موته أن ينفق عليه . فينفق الابن على الأب . والأب على الابن . والأخ على الأخ . والزوج على الزوج . عملا بالقاعدة الإسلامية الحكيمة « الغرم بالغنم » - ولقد رأى د. عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه يهوديا لا يقدر على شيء . فوقف به ثم قال :

« ما أنصفناك أيها الذي ، أخذنا منك الجزية في ،

« قوتك فيجب ألا نضيعك في ضحكك ، ... ثم ،

« أجرى عليه من بيت مال المسلمين ما يقوم بأوده ،

ولقد أعطى الإسلام الحق للوالى في أخذ أكثر من الزكاة والصدقة إذا استدعى الحال ذلك . فقد أثر عن عمر بن الخطاب أنه قال - :

« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت ،

« فضول أموال الأغنياء وقسمتها على الفقراء . . ،

ويقول ابن حزم - :

« إن على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائه ،

« ويجبرهم السلطان أن لم تكف الزكوات ... ،

والوالى أيضا الحق في أن يضع يده على جميع أموال الرعية ،

لسد حاجات الأمة إذا طرأ عليها من الحوادث ما يتطلب ذلك . وهذا

تمشيا مع القاعدة الإسلامية الحكيمة .

« إذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد ،
ولقد وضع الرسول عليه السلام مبدأ التأمين الاجتماعي بقوله :-
« من خلف مالا أو حقاً فلورثته . ومن خلف كلا ،
« أو ديناً فمكّله إلى - ودينه على . وعلى الولاية ،
« من بعدى . من بيت مال المسلمين »

ولشدة عناية الإسلام بأمر الفقراء جهز أبو بكر أحد عشر
جيشاً لمحاربة مانعي الزكاة - وأن كلمة « في سبيل الله » التي هي إحدى
مصارف الزكاة ، ليدخل فيها كل جهات الخير من أعداد الجيوش ،
ونأسيس دور العلم ، وأنشاء الملاجى والمستشفيات إلى غير ذلك مما يعود
بالخير على الفرد وعلى المجتمع ، بشرط الأخلاص ، وعدم المباهاة
والرياء ، ففي الحديث القدسي :-

« أن الله عز وجل يقول يوم القيامة :-
« يا ابن آدم . مرضت فلم تعدنى : فيقول ابن آدم : يارب . .
« كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ فيقول الله : أما ،
« علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما إنك لو عدته ،
« لوجدتنى عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعنى ؟
« فيقول : يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين ؟ فيقول
« الله :- أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه .
« أما إنك لو أطعته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم ،
« استسقيتك فلم تسقنى ؟ فيقول : كيف أسقيك وأنت ،

و رب العالمين ١٩ فيقول الله استسقاك عبدى فلان فلم تسقه .
و اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى .

ولعناية الرسول عليه السلام بأمر الفقراء اكتتب لهم بنفسه ...
ففي حديث رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه . أن قوما
من مضر أقبلوا على الرسول ﷺ في صدر يوم من الأيام ، وقد
بدت عليهم أمارات الفقر والفاقة ، يضعون على أجسادهم قطعا لا تكاد
تسترها حتى لكأنهم عرايا . فتغير لذلك وجه الرسول ﷺ ، وبدا
عليه الغضب الشديد ، وعز عليه أن يرى قوما من المسلمين تتملكهم
الفاقة إلى هذا الحد ، وقد جعل الله لهم حقوقا في أموال أخوانهم
الأنبياء ، فرؤى ﷺ يومئذ مهتما قلقا ، يدخل ويخرج ، ويقوم
ويقع ، ثم أمر بلالا أن يؤذن في الناس . فأذن بلال . وحضر الناس
وأقيمت الصلاة . ثم خطب فقال :-

- يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة -
- وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، -
- واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم -
- رقيبا . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس -
- ما قدمت لعد ، واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون ، ولا -
- تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم -
- الفاسقون - لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب -
- الجنة هم الفائزون - ألا فليتصدق رجل من ديناره . من -

- درهمه . من ثوبه . من صاع بره . من صاع تمره . إلى أن -

- قال : ولو بشق تمره -

فجاء رجل من الأنصار ببصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم
تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب فتهل وجه النبي ﷺ
لما رأى من تلبية ندائه واستجابة دعوته . وقيام الأغنياء بحق الفقراء .
ثم قال - : من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من
عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في
الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من
غير أن ينقص من أوزارهم شيء

ولهذا كان الحكام الذين يخشون المسؤولية الإلهية يراقبون الله
في الرعية ، ويتركون أبهة السلاطان مستطلعين أحوال الناس بأنفسهم ،
وكان عمر بن الخطاب على رأسهم . . . حدثوا أنه طاف متنكرا في إحدى
الليالي ، فوجد أطفالا يبكون ، وأمههم تلهيهم بقدر تغليه على النار حتى
يناموا . وذلك لعدم وجود قوت في البيت ، فذهب بنفسه وأحضر برا
وتمرا وسمناء وثيابا ودرهما . فأخذته وهي لا تعلم أنه عمر ، وظل المسلمون
في حرصهم على تنفيذ أوامر الدين وتعاليمه حتى دانت لهم الممالك ،
وأفعمت مصارف الزكاة بما يجي إليها ، وحسنت أحوال الناس ، وكانت
الحاجة والعوز لا يجدان مكانا لهما في كثير من البلاد الإسلامية لعدم
وجود مستحق للزكاة فيها ، فتنقل إلى بلاد أخرى ، وذلك في عهد الملك
العاقل عمر بن عبد العزيز ، والناس اليوم يتساءلون ، هل يدخل
كسب العمل . وكسب الصناعة . وكسب التجارة في الزكاة ؟

والجواب أن كل كسب عليه زكاة... ولاهمية هذه المشكلة - أى
مشكلة الفقر - فى نظر الاسلام أكثر من الإشارة إليها. وحسب
القارىء أن يعرف أن أى الصيام فى الكتاب أربع، وأى الحج
بضع عشرة. وأى الصلاة لا تبلغ الثلاثين. أما أى الزكاة والصدقات
فأنها تبنى على الحسين. وهذا التشريع السماوى العجيب. وبالتطبيق
الكامل من الرسول عليه الصلاة والسلام، وأصحابه وأنباؤه
المهتدين. انهزم الفقر فى قفار الحجاز. كما انهزم فيما بعد فى ريف مصر
وسواد العراق. وكان الله سبحانه وتعالى اختار رسوله فقيرا ليسكون
أظهر لقوته. كما اختاره أميا ليكون أبلغ لحجته... ويرحم الله شوق
أذ يقول:-

« الاشتراكيون أنت أمامهم * لولا دعاوى القوم والغلواء،
« أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى * فالكل فى حق الحياة سواء،
« فلو ان أنسانا تخير ملة * ما اختار إلا دينك الفقراء، »

المرأة ومكانتها فى الاسلام (١)

عانت المرأة ما عانت من ضروب الشقاء منذ عهد البشرية الأولى،
حيث اعتقد فيها الأقدمون أنها الباب الذى افتحم منه إبليس سور
الأمر الإلهى على آدم حتى أخرجه من الجنة، ولقد عاشت مع رجلها
على الأرض كما يقول علماء الاجتماع معيشة الحيوان الأعجم فلا أسرة
ولا أوضاع مرعية، ثم لما جاء عهد الاستقرار كان للرجل الزعامة،

وكانت هي وأولادها عبيدا له ، ولما جاءت الشرائع الأولى للإنسانية
كانت الرعاية التي نالتها ضئيلة ، أو تكاد تكون معدومة ، فشرعية
كن ، بالصين كانت تعتبرها حيران لذة - و «وشريعتا بابل وآشور ،
كانتا تبيعان جمع العذارى كل عام وبيعن على يد الكاهن بالمزاد
العلني ، وجاءت اليهودية فمنعتها الأثر . وأباح لوليها بيعها وهي
قاصر إذا ألح به الحاجة ، والمسيحية جعلت الرجل الرأس وهي
الجسد ولم تتورع الكنيسة عن بيعها كما حدث عند ما بيعت امرأة في
أمواق انجلترا بشانين سنة ١٧٩٠ م . لأن تكاليفها ثقالت على الكنيسة
التي تأويها ، ولم تكن المسكينة أيضا في عهد المدينيات القديمة خيرا
منها في سواها ، فالأثينيون كانوا يبيعون الاتجار بها ، والأغريق كانوا
يتمنونها ويقتسمون منها وعلى رأسهم فلاسفتهم «كسقراط ،
و «شوبنهاور ، و «ديوجين ، والرومانيون ما كانوا يعترفون بأنها إنسان
إلى أن اجتمع المجمع الروماني سنة ٥٨٦ م ومنحها درجة الإنسانية
على شرط أن تظل خادمة للرجل ، أما العرب فكانوا يئذونها وهي
حية ، ويبيعونها إذا أخطأها الموت ، ولا يورثونها ، ولا يملكونها إلى
غير ذلك مما هو حق للرجل . فلما جاء الإسلام اعترف لها بكل
الحقوق الإنسانية - كحق الحياة . وحق الحرية ، وحق الملك ، وحق
الأثر . بل وحق اختيار زوجها ، وحق طلاقه إذا ما اشترط ذلك
عند العقد ، وحق الجهاد بدون إذن زوجها إذا دام بلاد المسلمين مداها .
وكذلك أباح لها حضور المجتمعات العامة ، ومناقشة الرأي فيما هو

من شئونها كما فعلت المرأة التي عارضت عمر في تحديد المهر فرجع عن رأيه إلى رأيها .

وهنا تعترضنا مشكلة ، هي . هل المرأة قياسا على ما حدث على عهد عمر - حق الانتخاب والنيابة ... ١٩٠٠ ثم ما يتبع ذلك من حق في السلطة التنفيذية . والتشيل السياسى ... ؟ وهل لوجود الفوارق بين الجنسين ... وأثر الغريزة في كل منهما . وبروز الخصائص التي امتاز بها الرجل . أثر في هذا الحق وما يتبعه ... ؟ ... والجواب . أن الاسلام لم يحتكر العمل للرجل ، ويقذف بالمرأة خلف الأسوار ، بل دفعها هي والرجل إلى أهداف الحياة العليا بدليل قوله تعالى :- : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة الخ الآيات ، ... » ولقد ابتدأ الاسلام لتحقيق هذه الأهداف بتكوين المرأة الفاضلة ثم انتهى بتقييد الاجتماع والاختلاط . لدرء الفساد ، محاولا أن يكون للرجال مجتمعاتهم ، وللنساء مجتمعاتهن فإذا ماتحتم اجتماعهما في صعيد واحد وضعت الاحتياطات ، .

الحرب والسلام

لم يشرع الاسلام الحرب الاستيلا والتملك ، وتوسيع رقعة الدولة كما أنه لم يشرعها لأغراض اقتصادية أو استراتيجية . بل لرد الظلم والعداوة . حيث تشير إلى ذلك الآية الكريمة :- : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ،

... وكذلك شرعها لأقامة أركان العدل في الأرض ، وثبتت دعائم

الفضيلة بين الناس ، تنفيذاً لقوله جل شأنه - :

« الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأنوا ،

« الزكاة . وأمروا بالمعروف . ونهوا عن المنكر ،

... ولذلك فقد كان المسلمون الأولون يقدمون أرواحهم على

أكفهم مستبسلين مستشهدين - كالصحابي الجليل - أبي دجاجة ، إذ

قدم نفسه ليوضع فوق جحفة ترفع على أسنة الرماح ثم يقذف بها

وراء باب حصن منيع - وذلك في حرب المسلمين مسيلة الكذاب -

فلما قذف به باغت مسيلة وأصحابه وأعمل فيهم سيفه ثم فتح الباب

فتدفق المسلمون وتم لهم النصر - وكان بهذا أبو دجاجة وحده

فرقة الكامندو - في صدر الإسلام وكالجندى الباسل على عهد

« مسيلة بن عبد الملك بن مروان ، حيث أنكر ذاته ، ودخل نقبا -

في حصن من حصون الروم حينما امتنع على المسلمين - حتى فتحه -

فلما نادى المنادي بأمر مسيلة أن يحضر صاحب النقب ، حضر على

شرط ألا يسأل عن اسمه ، وألا يبذل له عطاء ، وألا يخبر به أمير

المؤمنين - فكان هذا الرجل بعمله العظيم ، وبأنكاره ذاته - هو المثل

الأعلى للجندى المجهول في الإسلام - ذلك لأن الإسلام دين البذل

والتضحية ، والشجاعة والأقدام ، ولهذا لم يجد الجسين طريقاً إلى

نفوس المسلمين الأولين ، بل كان الاستشهاد في سبيل الله أعز أمانتهم

لاعتقادهم أن الشهادة هي السبيل الموصلة للجنة وأنهم كما وعدهم الله

أحياء عند ربهم يرزقون .

ولما كانت الحرب سنة الطبيعة ، وكانت سجالات بين عناصر هذا
الوجود بحكم ناموس تنازع البقاء شرعها الاسلام وشرع لها
آدابا حتى لا تكون فوضى ومن هذه الآداب
الانذار بها ، وحماية حقوق المستأمن المنتسب للعدو ، وعدم قتل النساء
والاطفال ورجال الدين الذين حبسوا أنفسهم في البيع والسكناس ،
وعدم الغدر والخيانة ، وعدم التمثيل بالأعداء ... وسماحة الاسلام في
حربه وسلمه وصلحه ومعاهداته لا يوجد لها مثيل في تاريخ البشر حتى
أن مبدأ الجلاء الذي يطعن به أدعياء المدنية العصرية قد سبق به
الاسلام فقد حدثوا :-

« أن قتيبة بن مسلم الباهلي ، حالفه النصر على عهد الخليفة ،
« عمر بن العزيز ، حتى وصل شرقا إلى تخوم الصين ،
« فوضع يده على بلاد السند التي لم تحاربه . واحتلت ،
« جيوشه رقعتها ، فاتفق أهل الرأي في تلك البلاد على ،
« رفع الأمر إلى عمر ضد قائده . وذهب وفد منهم إليه ،
« لهذه الغاية . فأرسل معهم قاضيا بحقق ويحكم بالعدل ،
« فذهب القاضي ، وحقق مع قتيبة فنبت له صدق ما قال ،
« الوفاء ، فأصدر حكمه بالجلاء فورا . وبأن يرد الجيش ،
« ما أخذه ، وبأن يرجع كل شيء إلى أصله . وهم القائد ،
« بالتنفيذ . ولكن عدالة الاسلام في حكمه استشارت حماسه ،
« الأهلين . ورضوا بأن يدخلوا تحت حكم الاسلام طائعين ،

أما إذا ما وضع أعداء الإسلام السيف ومدوا أيديهم طالبي الصلح
والسلام تقدم إليهم المسلمون ملبيين مسرعين قال تعالى - :
« وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »
ومن هذا يتضح أن الحرب وأن شرعها الإسلام للضرورة فلا
يلجأ إليها إلا إذا كان السلم ضاراً . وكانت الحرب هي الدواء والعلاج .
وصدق من قال - :
والحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناجعات دواء

ولما كان الرق نتيجة للحرب منذ القدم جعله الإسلام أمراً
عرضياً ودعى إلى عتق الرقيق ومنحه حرية في غير موضع من كتابه ،
ولقد بلغ من تقديسه الحرية أنه لم يحجر على العقل ولم يكره أحداً
على اعتناق الإسلام ، قال تعالى ، :
« لا أكره في الدين قد تبين الرشد من الغي »
وقال :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن »
وقال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما بلغه تعاظم ابنه على
قبلى مسيحي :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، ١٩
ولما أراد « السلطان سليم العثماني » توحيد دين الدولة أبي عليه
ذلك شيخ الإسلام الموجود في عهده ، احتراماً لوصايا الدين من
حرية العقيدة وما يتصل بها من حريات وقرر الإسلام أن تكون

ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فإذا أمن مسلم أحدا ولو كان
غير مسلم صار في جواره واحترم هذا الجوار... وإذا أصدر الحاكم
أمرا عاما يجب أن ينفذه في نفسه قبل أن ينفذه في غيره. مسلم كان أو
غير مسلم. قال تعالى :

« ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا... »
« اعدلوا هو أقرب للتقوى ، »

العهود والمواثيق

الإسلام صريح القصد فيما يبرمه من عهود ومواثيق وهو يلتجئ
بها ناحية الفضيلة ؛ ويرى التحلل منها لمصلحة شخصية أنما كبيرا...
قال تعالى :

« وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، »

واقعد كان عهده صلى الله عليه وسلم مع أهل المدينة من اليهود
والمشركين ينص على أن ينصر بعضهم بعضا ضد من تألب عليهم ،
على أساس الحق والعدل ، والنصح والنصيحة ، والبر دون الأثم ،
وحرمة الأوطان المشتركة . وصون عقائد المتعاقدين وشعائهم
وحرياتهم في الدعوة لدينهم مهما تباينت هذه الأديان ، كما ينص على
حرمة من يدخل في الميثاق وحرمة جواره ، وقد دخلت فيه فعلا
بطون وقبائل من ديانات متعددة على هذا الأساس... وبلغ
من حرصه صلى الله عليه وسلم على الوفاء بالعهد الذي اتفق عليه أثناء
المناقشة وإن لم تتم كتابة العهد ، أنه بينما كان يفارضه « سهيل بن
عمر » ، في الحديبية ، إذ جاء « ابن سهيل » يرسف في الأغلال ، وقد
فر من الأعداء الذين يهملهم أبوه ويتفاوض مع الرسول باسمهم ،

وكان هذا الابن ممن آمنوا بمحمد ، أجل . جاء « أبو جندل بن سهيل ابن عمرو ، الرسول مستهزعا ، وقد انفلت إلى المسلمين من أيدي المشركين » فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلابيه ، ثم التفت إلى الرسول وقال : يا محمد . لقد لجت القضية بيني وبينك « أي فرغنا من المناقشة ، قبل أن يأتيك هذا ، فقال الرسول : صدقت ، فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أورد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فلم يغن عنه ذلك شيئا . ورده رسول الله وفقا للشروط التي اتفق عليها ولم يكن قد كتبها ، واسكنه كان قد انتهى من المناقشة فيها وقبل الشروط فلم يتحارب ولم يتردد . . . وما أظن أن في تاريخ البشر مثالا لرعاية الكلمة التي قيلت ولما تسكتب . ولما تمض . كهذا الذي ضربه رسول الله في « الحديدية » على مرأى من خصومه . وعلى كره من أنصاره . . . وقد كان من شروط « الحديدية » أيضا نصرته من كان داخلا في تحالف مع أحد المتعاقدين ، وقد قبل هذا الشرط ولو كان الداخِل في التحالف معه غير مسلم واسكن بشرط أن يكون « ظلوما » كخزاعة ، وأن كان حلفها قديما متوارثا منذ جده « عبد المطلب » وله في نفسه مكانة ممتازة ، بل إن الاسلام يقرر كل تحالف يقوم على هذين الأساسين « الحق . والعدل ، فلقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« شهدت في دار عبد الله بن جدعان « حلف الفضول » أما ، لو دعيت إليه في الاسلام لأجبت . وما أحب أن لي به حمر النعم ، « وأني نقضته . وما يزيد الاسلام إلا شدة ،

وحلف الفضول هذا هو حلف حدث في الجاهلية ، وسببه أن تاجرا يمنيا أخذ يطوف أنحاء مكة ويقف في مجتمعاتها يشكو ظلم

« العاص بن وائل ، من زعماء قريش ، إذ لم يؤد إليه ثمن « بضاعة ،
اشتراها منه منشدا إياهم .

يا أقصى المظلوم بضاعته بيطن مكة نائي الدار والنفر !!
ففرع لذلك قوم لا يقرون الظلم من بني هاشم . وبني المطالب .
وبني زهرة بن كلاب . ومن تيم بن مره . وأسد بن عبد العزى .
واجتمعوا « بدار ابن جعدان ، ثم تحالفوا على زهرة البني ونصرة
كل مظلوم ، وأطلقوا على هذا الحلف اسم « حلف الفضول » ، وقد
حضره الرسول قبل البعثة ، وأقره لما أرسل .

المنصية وكيف حاربها الإسلام !

جاء الإسلام لتقرير مبدأ المساواة بين الناس جميعا . إذ أن
وثنية المنصر والوطن والطبقات لا يعرفها ولا يقرها قال تعالى :
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا ،
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،
وقال عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية . وليس منا من قاتل على عصبية ،
« وليس منا من مات على عصبية ،

وقال في خطبة الوداع :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وآدم
من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي
ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر
فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد
منكم الغائب ، ... ويقول عمر رضي الله عنه : « إن الله ليس بينه وبين

أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ،
وقد روى أن « أبا ذر الخفاري ، رضي الله عنه غير أنسانا
بقوله : « يا ابن السوداء ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال : « طاف الصاع . طاف الصاع . ليس لابن البيضاء على ابن
السوداء فضل إلا بالقوى . أو بعمل صالح ، فنسبم أبو ذر ووضع
خده على الأرض . وقال لمن غيره : قم فطأ خدي بقدمك ،
وقال عمر بن الخطاب : والله لئن جاءت الأماجم بالأعمال وجئنا
بغير عمل . فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة . فإن من قصر به عمله .
لا يسرع به نسبه .

ولهذا فقد ملك من المسلمين أجناس وألوان حسب مقدرتهم
على إدارة الملك لا حسب عنصرهم ، والاسلام مع هذا وسع الدائرة
الاسلامية لمحتنقيه فجعل وطن المسلم يمتد مع العقيدة . قال تعالى :
« يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فأبأي فاعبدون ،
وبهذا التوجيه السامي قضى على العنصرية . وتفاوت الطبقات
بينما الأمم قديما وحديثا تجعل العنصرية . والجنسية والتفاوت مبدءا
من مبادئها ، فقديما كان المصريون أبان مجدم يدعون أنهم السادة
ومن دونهم عبيد . حتى أن « هيرودرت ، المؤرخ العظيم حكى أنهم
كانوا يقولون عن الأغريق : « انكم معشر الأغريق لستم إلا أطفالا
وما تعلمون من العلم شيئا » . وكذلك كان الأغريق أبان مجدم فقد
كانوا يقولون :-
« إن اليوناني سيد الدماء ، وهكذا كان الرومان أبان سطوتهم فقد

كانوا يعتبرون أنفسهم شعبا لا يصلح إلا للسيادة ، ثم لعبت هذه
الفكرة أبان مجد العرب دورا خطيرا ثم بين العرب والفرس زمنا طويلا
- وطغت نعمة الطبقات أبان العصور الوسطى من سادة وعبيد .
وأشراف وعامة - هذا فضلا عن نعمة الدين أبان الحروب الصليبية
التي لم تزل آثارها تعمل في هيكل الانسانية إلى اليوم تارة كاشفة
قناعها وتارة من خلف القناع ... وفي عهد النهضة الحديثة تدعى الأمم
المساواة وعدم التفاوت ، وهو ادعاء كاذب .. ألا ترى أن أمريكا
التي تدعى أنها حامية الديمقراطية لم تسو بين البيض والسود في بلادها
لا في التشريع ، ولا في السياسة ، ولا في الاقتصاد ؟ وإن يغرب عن
الأذهان شيوع فكرة الجنس ، التي ظهرت أبان هذه النهضة . واعتبر
الإنسان الأبيض سيدا الخليقة ، ثم وضع على قمة هذا الإنسان «التيون»
الذين يجب ألا يلوثوا دمه بدم أجنبي . لأن هذا لا يحط بعالي
شأنهم فحسب ، بل ويسمو الحضارة التي هم حراس عليها ، واعتبر
الألمان أنفسهم بناء على هذا أنهم أسمى الاجناس ، وقالوا : ألمانيا
فوق الجميع . وألمانيا هي الأمة المتميزة التي يتجسم فيها الروح المسيطر
على الحوادث ، والتي يختار رجالها للأفاد . وكان أن خدعت
المسكينة بهذا الفهم القائم على آراء «جويدو» الفرنسي في كتابه
«تفاوت الشعوب» ، وعلى آراء مناصره «هوستن استيوارث شميرلن»
الانجليزى الذى انسلخ عن جنسيته وتجنس بالجنسية الألمانية . وعلى
آراء «هجل» الألمانى وبحوثه «في النظرية النسبية للتاريخ» ،
وكانت نتيجة هذا أن غالت ألمانيا بنفسها ، واندفعت إلى حربين عالميتين
انتهتا بها إلى الضياع ... على أن هذا المظهر لو تتبعه الباحث المدقق
لوجده في جميع أمم هذه الحضارة ، وأن سددت عليه ستارا كثيفا -

ذلك لأن عناصر مدنيته مستمدة من التراث اليوناني الوثني ، ومن الثقافة الرومانية التي دعامتها البطش والعلبة ، ومن النضال الطويل بين الكنيسة والعلم ، ومن بقايا عهود الاقطاع التي قسمت الناس إلى قسمين - أسياد وعبيد - وملاك وزراع - ، ولهذا فساسيتها لا يفتأون يفرضون سيادتهم على غيرهم من الأمم ، ويخترعون من الأسباب ما يبرر هذه السيادة ، حتى وصفهم الكتاب العالمي « سدي لو » بأنهم أشبه بعصابات من اللصوص يهبطون على الحلال الآمنة فيشنخون فيها الجراح ثم ينقلبون بالغنائم والأسلاب .

لقد أنشأوا « محكمة العدل الدولية » في لاهاي قبل الحرب العظمى فلم تفيد شيئاً ، ثم جاء « ولسن » بمبادئه الأربعة عشر بعدها فلم تفيد شيئاً ، وكونوا « عصبة الأمم » بدعوى الدفاع عن حرية الأمم ، وإعطاها حقوقها ، ومنع الحروب وويلاتها ، ومع هذا فلم تتحقق دعاويهم وقامت الحرب العالمية الثانية . . . وجاء بعد ذلك « ميثاق الاطلنطي » وتقرير الحريات الأساسية للإنسان ، ثم « مشاورات موسكو » و « مؤتمر دمبرتون اكس » و « قيام هيئة الأمم المتحدة » وتدعيم « مؤتمر سان فرانسيسكو » لها ، كل هذا من أجل العمل على تحقيق تلك الغايات الانسانية السامية ، من إقرار السلم ، وتقرير الحقوق ، وتبادل المنافع ، والتعاون العام بين الأمم مادياً وأديباً . ومع هذا فالحال تفتقل من مئة إلى أسوأ ، حتى انشكاد تتحقق نبؤة الباحث العالم « ولز » بعدم صلاحية هذه الحضارة ، وبأنها « عود ثقاب » يكاد يشعل الحرب من جديد ، وبأنها حضارة فاجرة لمحاولتها

كسر اللولب الذى بينها وبين السماء ، ولائها لا تعتبر اصول الاخلاق
التي أتت بها الشرائع السماوية ، حتى صار أنسانها وحشا في جسم آدمي

انقاذ الانسانية على يد الاسلام

ان المخرج للانسانية لليوم من ورطتها أن تربط ما بينها وبين
الروحانيات برباط من الود والتفاهم مستندة في ذلك إلى وحى سماوى
يتمشى مع سنن الوجود ، ونواميس العمران ، وليس غير ، الاسلام ،
يتفق مع تلك السنن والنواميس ، لانفراده بمزية الاصلاح ، وتعميمه
بين جميع الاجناس في الحكم والتشريع عكس الديانات الأخرى ، فأن
الديانات الهندية مثلا كالبودية والبرهمية وما شابههما تقرر التفاوت بين
الطبقات فتمنع طبقة السودرا ، مثلا من الثراء ، لأن هذا يؤلم نفوس
البرهميين ، ثم هي لا تسوى بين الطبقات في سداد الدين ، ولا بين
الاخوة في الميراث إذا اختلقت الامهات ، والديانة اليهودية تحرم أن
يقرض يهودى يهوديا بالربا ، ولسكنها تبيح له الربا إذا أقرض أبناء
الأمم الأخرى ولو كان مضاعفا ، كما أنها تأمر اليهود إذا ما انتصروا
أن يكونوا اصحاب السيادة والثراء . أما المغلوبون فهم ما بين قتلى ومسخرين
وغنائم . والديانة المسيحية جاءت دعوتها روحانية صرفة . وقد أغفلت
روح التشريع في السياسة والاجتماع وغيرهما فاصطدمت بواقع الحياة
وانتهت إلى حزازات لا يهدأ لها أوار ، وهاهى ذى المبادئ التي صبغت
بصبغة العلم حتى صارت مذاهب دان بها الناس لم تثبت طويلا ... ففي
القرن الخامس قبل الميلاد دانت « أتينا » بمبدأ حرية الفرد ثم انتهت
هذه الحرية إلى الاباحية المدمرة حيث كانت تحوى أكثر من مائة ألف
رقيق - وفي عهد الرومان دان الرومانيون بالنظام وأسرفوا فيه حتى

انقلب إلى ظلم وطغيان - وفي المصور الوسطى طغت على الأفكار
الدعوة إلى الوحدة الدينية في بلاد الغرب وغوى فيها حتى انتهى هذا
الغلو إلى الهوة السحيقة بين الشرق والغرب باشتعال نيران الحروب
الصليبية بين الإسلام والمسيحية ... وفي أوائل عصر النهضة الأوروبية
قامت الممالك تنصب على رؤسها ملوكا في يدها أزمة شعوبها معتقدة
أن سلطة الملوك وهبت لهم من عند الله بينما كان أولئك الملوك يستغلون
هذه العقيدة في الظلم والاعتساف وتبريرهما مع شعوبهم حتى أدى
ذلك إلى انقلاب هذه الشعوب عليهم والعمل على نيل عروشهم ... وفي
عهد الثورة الفرنسية قامت الدعوة إلى الديمقراطية على أساس تمجيد
الحرية ثم أسرف فيها أسرافا حط من قدرها ... وفي أعقاب الحرب
العظمى ظهر مبدأ القوميات والأجناس فأسرف كل من النازية
والفاشية في هذا المبدأ وكانت النتيجة اشتعال نار الحرب العالمية
ولما أطفئت شرارتها ظلت نار الحقد بين الشعوب المنتصرة تحت
الرماد وظهرت الشيوعية مرة في جسم نمر ومرة في جسد أسد ...
والناظر إلى الإسلام بأمعان وأنصاف يحده الدين الوحيد الذي
يستطيع أن يتألف تلك المذاهب ويهذب من حدتها ، موفقا بينها
مجتمعة تحت رايته . فقد كفل الحرية بما رفع من مقام الإنسان .
وقرر النظام بما أتى من أحكام الشرع . وجعل طاعة الله ورسوله
وأولى الأمر واجبات يقوم بها الناس وهم راضون مع أعطائهم حق
بذل النصيحة لأولى الأمر بأن يترفقوا بالناس ، وجعل للإنسان كرامة
يجب أن يعتز بها بحيث لا تخرجه العزة عن واجب الأخاء الإنساني
العام . وجعل الجماهير والعامّة أمانة في ضمير الباقين ، وجعل العمل
الذي للخدمة العامة عبادة والعمل الذي في سبيل الرزق عبادة . ليصل

الدنيا بالآخرة ، ثم مزج بين الحق الذى يكون دفاعا عن العدوان .
والحق الذى يكون اشتراكا فى نظام عالمي . وقدر المساواة فيما تكافأت
فيه المواهب والقدر ، أما إذا تميز الإنسان بقدره خاصة أو موهبة خاصة
كان حرمانه الفضل ظلما ، ومن أجل هذا فقد تلك القواعد التى منها
- الرجل وبلاؤه - الرجل وقدمه - الرجل وحاجته - إلى غير ذلك ...
وكذلك قرر وجوب التوازن فى المجتمع ، فسكروه تسكديس الثروات فى
جانب . والحرمان فى جانب ... وبهذا مهد لقيام حكومة عالمية بعد أن
وضع نظاما سياسيا عاما ، واجتماعيا عاما ، واقتصاديا عاما ... فهو لم
يتخذ من روحانيته حصونا تعزله عن العالم وتمنعه من النشاط الفكرى
والإنسانى ، وما فتوحاته المادية والروحية التى ملأت أسفار التاريخ إلا
برهان ناصع ... ولقد أنصف البرتوماس أرنولد الانجليزى ، إذ يقول :
« إن القوة المادية للإسلام التى انتشرت فى بغداد والاندلس
وأفريقيا وإلى تفلصت فيما بعد إلا أن فتوحاته الروحية ظلت فى
طريقها لا يعترضها معترض . فى الوقت الذى أغرقت بقسايا
بجيد العباسيين فى بحر من الدماء على يد التتار وعصابات المغول
سنة ١٢٥٨ م . وفى الوقت الذى طرد فيه المسلمون من قرطبة
سنة ١٢٣٦ م . ودفعت دغرناطة ، آخر معقل المسلمين فى أسبانيا
الجزية للملك المسيحى ، كان الاسلام قد اكتسب أتباعا جديدا فى
(سومطرة) كما كان على وشك أن يبدأ انتشاره المظفر فى (جزائر
الملايو) ... والذى نعجب له حادثتان اعتنق فيهما الغالب الكافر
دين المغلوب المسلم - أما الأولى - فالأترك السلاجقة فى القرن الحادى
عشر - وأما الثانية - فالمغول التتار فى القرن الحادى عشر أيضا
- كذلك نقل المبشرون المسلمون عقيدتهم بدون مساعدة إلى الصين

وأواسط أفريقيا . والهند . ومن البوسنة إلى غانة الجديدة . وروسيا
ومراكش . وزنجبار . وسبيريا . إلى أن قال : وكما تعيش الديانات
الأخرى في قلب البلاد الإسلامية تشملها رعاية الحكم الإسلامي
كذلك يعيش الإسلام بما له من قوة معنوية وقدره على مشاكلة
العصور والبيئات المختلفة بين الأمم غير المسلمة ،
ولأن يتسع المقام لاستعراض آراء أهل الرأي من ملوك وفلاسفة
وباحثين في سمو تعاليم الإسلام - فهو نهاية المراحل التي تفتنى إليها
البشرية في غايتها نحو الكمال - وهو حصن الأمان ، حينما تخاطب بشاشته
القلوب ، كما يقول : « هرقل عظيم الروم ، ... ثم إن فيه أمنية الحياة
وراحة الموت » ، كما يقول : « المنذر بن ساوى ملك البحرين ، عند ما
شرح حقيقته له (العلاء بن الحضرمي) ... وهو الدين الفذ الذي له قيمة
ذاتية . بحيث تستطيع الحضارات الاعتماد عليه . كما يقول (كارليل) ...
وهو الدين الوحيد الذي انفرد بالتوحيد بين الأجناس . وقدر على
حل مشاكلها . والتوفيق بينها كما يقول « جيب ، ... ولعل الأوان قد
آن لهذه الإنسانية المعذبة . أن تستظل بظله الظليل فتستريح نسائم
الحياة المهادنة المطمئنة التي يرفرف عليها الأخاء الانساني الصحيح ،
وتخفق راية العدل الكامل الشامل ، ذلك العدل الذي يصلها
بعضر النبوات فتتسلح بسلاح روحى . به يكون السيف في يدها محرثا ،
والرمح منجلا ، وتمكافل تكافلا اجتماعيا يجعل الغنى لا يأكل حتى يتختم
وبجانبه ألوف لا يحدون القوت ، وبهذا تقوم في العالم من جديد حضارة
لا يكون القوامون عليها الحارسون لها الأقوياء الفجرة ، بل الاتقياء
البررة . . .

إلى فتیان العروبة . وشباب الإسلام

أتم اليوم أيها الفتیان ، والشباب . في مفترق الطرق ... عصر
مادی يغريكم بالفتنة ، وحاضر مضطرب يوقعكم في الحيرة ... فاسلكوا
سبيل الماضي المجید لآمتكم التي تمتدون في تاريخها ، يوم كانت في ميدان
التماطف والوئام ، والحضارة والمدنية ، إیادی متحدة ، وقلوباً متلفة ...

أيها الفتیان ، أيها الشباب ... إن الحياة السكریمة في كل زمان
ومكان مرهونة بالانتصار على الأخطار التي تهدد كيان المجتمعات ، ولن
يأتى هذا الانتصار عفواً ، وإنما هو متوقف على عدم الخروج على
نواميس الوجود ، وسنن الخالق الحكيم ، تلك النواميس والسنن
التي لا تتخلف من أجل أحد ، ولا تتبدل في أى زمن ، والتي ترتبط
تمام الارتباط بالمثل العليا ... وهذه المثل ليست في الكذب ، بل هي
في الحياة وفلسفتها ، وهي ذات برامج ودساتير ترسم للطالبيين غاياتهم
ومطالبهم ، حتى لا يظلوا محلقين فوق مشاغل الحياة المختلفة ، مبعثرين
جهودهم بعثرة لا تجدى ... فترسموا هذه البرامج والدساتير ، وارسموا
لأنفسكم هذه الغايات والمطالب ، لأنها الحوافز التي تحفزكم إلى
التفكير والعمل ، وهي الوسيلة إلى الفلاح والنجاح .

أيها الفتیان ، أيها الشباب ، تخلصوا من تلك العقلية الغيبية التي
غمرت بلدان الشرق ، فظلت ترتكن إلى الحظ والنصيب ، وترد
المسئيات إلى غير أسبابها ، فتواكلت وتأخرت ... ثم لتكن عقليتكم
عقلية علمية عملية ، تتكيف بأسلوب العدد والقياس وصيغ التفكير

في كل صورته وأحكامه بطابع الاحصاء والحساب ، والنظر إلى الأمور
نظرة رياضية ، تظهر خوافيها ، وتحديد أقدارها ، ولتكن لكم
شخصية ، فيها قوة الاقتناع ، وقوة التأثير ، وقوة التكيف بالوسط
الذى تندمجون فيه . . . ولتكن أخلاقكم أخلاقاً متكافئة مع علم
النفس . وحافز الضمير .

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، ليست السعادة كيساً من الذهب في
ذيل قوس من الغمام - بل هي بين أيديكم - هي أن تحبوا أنفسكم
بأصلاحيها ، وتحبوا الناس بخدمتهم ، هي في سكونة النفس وطمانيتها -
هي في المنطق الهادئ ، والقلب الوثاب المتزن ، هي في أدراك الحقائق .
والعيش في الواقع ، فكونوا متكاملين نواحي الرجولة ، حتى تستطيعوا
حمل التبعات ، واستغلال الحيوية الكامنة فيكم . والمشاركة - إذا ما جاء
دوركم - في بناء عالم جديد ، عالم تسوده روح الديمقراطية الصحيحة ،
والإخاء الحق ، والعدل الشامل .

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، اعملوا للعاجلة والآجلة . . . واحذروا
حياة اللهو والترف ، فالذات السماوية هي التي صنعت في كل قلب من
قلوب أسلافكم قوته وعظمته ، فكانوا زلزلة وقعت في التاريخ ، ففسدت
ظلم الأكامرة ، وجبروت القياصرة . . . وهي التي جعلتهم أبطالا يصنعون
من أشجار الحياة ثماراً ، ونسورا تطير بروح الشرارة الإلهية ،
وتهبط بروح الغيث الملائكي ، حتى استخلفهم الله في الأرض ،
ومكن لهم دينهم . وبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، الدنيا مجاز . يعبر عليه الناس ، فكونوا
على قدم الاستعداد ، إذا ما وقف ركب الحياة ليحملكم إلى الغاية التي
ينتهي إليها كل حي . . . إذ أن الحياة التي لانهاية لها على هذه الأرض
غير مرغوب فيها ، والقلب الانساني دائما يتألف إلى نوع من الوجود
فيما وراء هذه الحياة الضيقة الفسحة ، وتأني رحمة الله أن توصلد
الأبواب . جعلنا الله وإياكم مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .



سنة ١٣٦٩ هـ

سنة ١٩٥٠ م

محمد البنداري

مصادر الكتاب

- القرآن الكريم
- تفسير القرآن للذبي والزخري والقرطبي
- الصحيحان للبخاري ومسلم
- العهدان القديم والجديد
- مقدمة ابن خلدون وتاريخه لابن خلدون
- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي
- محمد لمحمد حسين هيكل
- الاسلام وأصول الحكم لأبي عبد الرزاق
- على هامش السياسة لحافظ عفيفي
- شجرة الحكم لتوفيق الحكيم
- أهل الحق العارفون بالله للسيد محمد الحافظ التيجاني
- المجتمع ومشاكله لأبراهيم رمزي
- الخدمات الاجتماعية بقلم - م - ي - د
- خطط الشام لمحمد كرد علي
- مذكرات جمال باشا لجمال باشا
- من وحي فلسطين لأحمد رمزي
- تاريخ فلسطين لجول كنتور
- المستقبل اليهودي لهاري سافي
- الثورة العربية لأمين السعيد
- الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام
- عبقريّة عمر لعباس العقاد
- تاريخ اليهود في جزيرة العرب لاسرائيل وانفسون
- قرارات الجامعة العربية، وعصبة الأمم، وهيئة الأمم، ولجانا العلمية والأدبية

فهرست الكتاب

صفحة	
-	الاهتمام
-	الاستفتاح
٧	العروبة الخالدة
١١	نهضة العرب قديما وحديثا
٣٣	مأساة فلسطين الجريجة
٤٩	دولة اسرائيل المزعومة
٦٣	الروح العلى وكيف يقود النهضة في البلاد العربية ؟
٨١	روح التشريع والحكم الصالحين وأثرهما في اطراد نهضتنا العربية
٨٨	الروح الاقتصادية وكيف تكون أوضاعه في البلاد العربية ؟
٩٧	الروح الاجتماعى وكيف يتجه اتجاهها سليما في بلادنا العربية ؟
١١٣	العرب في العالم الاسلامى وكيف يؤدون رسالة الاسلام الخالدة ؟
١٧٢	إلى فتیان العروبة وشباب الاسلام
١٧٥	المصادر
١٧٦	الفهرست

للمؤلف

كتاب الاخلاق والتربية الوطنية

د وحى المرأة

د نحو عروبة جديدة

د وحى السودان

i 14186317

B12705986

MAY 1973

DS
38
B5

البنداري، محمد
نحو عروسة جديدة

DS
38
B5

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY
LIBRARY
AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO



